# مواقف الإبتلاء

# بين القياس العقلى

# والثقة بالله

أ. د / جمال محمد سعيد عبد الغنى

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشـــرف المرســلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان الى يوم الدين

أما بعد

كتب الله سبحانه وتعالى على الإنسان بأن يكون مبتلا ، أى واقعـــا فى إختبار دائم حتى يتبين الجيد من الردىء والصلب من الهين والمؤمن من الكافر والصبور من اليائس ،والإنسان يتجاذبه الأمل والأمن والرضا والحب ، والسكينة النفسية ،وهذه الأشياء نتاج لطريق طويـــل مملـــوء بالجهاد والمعاناة التى خلقه الله من أجلها قال تعالى { إنا خلقنا الإنســـان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا }(١)

فالإنسان لا يخلوا من إبتلاءات متتابعة مثل الكوارث التى تصيبـــه والشدائد التى تحل بساحته ، فكم يموت له حبيب أو يمرض له بدن ، او يفقد منه مال ، أو يخفق له عمل إلى آخر ما يمتن الله على عبـــاده مـــن تلك النعم التى تظهر صلابة المؤمنين .

قال تعالى { إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهـــم أيـــهم أحسن عملا ، وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا }(٢)

(١) سورة الإنسان أية : ٢

(٢) سورة الكهف أية : ٧

قال إبن كثير فى تفسير هذه الآية : " أخبر الله تعالى أنه جعل الدنيا دارا فانية مزينة بزينة زائلة ، وأنه جعلها دار اختبار لا دار قرار فقال : إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا " ........... ثم أخبر الله تعالى بزوالها وفنائها وفراغها وإنقضائها وذهابها وخرابها فقال تعالى{ وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا }أى وإنا لمصيروها بعد الزينة الى الخراب والدمار فنجعل كل شيء عليها هالكا[1] وقد بين الله سبحانه وتعالى الحكمة الواضحة من وراء الإبتلاء لإظهار العمل الحسن من الرديء وذلك يتأتى بإختبار الحياة والموت ومدى حب الإنسان لأولهما وكراهيته لثانيهما ، رغم أنه سبحانه تدم الموت على الحياة لأهميته وأصله على الحياة

وقال تعالى{الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور}[2]

قال الطبري : وقوله الذى خلق الموت والحياة فأمات من شاء وما شاء ، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم ( ليبلوكم أيكم أحسن عملا ) يقول : ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع وإلى طلب رضاه أسرع[3]

---

(١) إبن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جزء ٣ ص٧٢

(٢) سورة الملك آية رقم ٢

(٣) الطبرى : أبو جعفر بن جرير الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، طبعة مصطفى الباب الحلبى ، سنة ١٣٧٣ هجرية ج٢٩ص١

فالإنسان مختبر فى مدة تقبله للحقيقة الإلهية واليقين الثابت وهو ذكر الموت ومدى إستعداد الإنسان له وقد ورد ذكر الإبتلاء من الله عز وجل للإنسان فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، من أهم ذكر ذلك قول الله تعالى

{ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون }(١)

وقال تعالى { لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور }(٢)

وقال تعالى {أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون}(٣)

وقال تعالى{ الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ٠

(١) سورة البقرة أيه ١٥٥ –١٥٧

(٢) سورة آل عمران : الآيه ١٨٦

(٣) سورة التوبة : أيه ٣١

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين}(١).

وقال تعالى { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوكم أخباركم}(٢) وهذه سنة الله سبحانه وتعالى فى خلقه عامة ، بأن يختبرهم فى الشدة وفى الرخاء بالحرمان والعطاء ، بهذا وذلك يكون الإبتلاء ، ودرجات الإبتلاء متفاوتة بحسب مشيئة الله وإرادته بمن يكون مقربا إليه سبحانه دون غيره ، أرشد الى ذلك حديث النبى ﷺ الذى رواه الترمذى فى سننه فقال : حدثنا قتيبه ، اخبرنا شريك ، عن عاصم بن مصعب بن سعد ، عن أبيه سعد بن أى وقاص ، قال ، قلت يارسول الله ﷺ أى الناس أشد بلاء ؟ قال ( الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلبا أشتد بلاؤه ، وان كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى الأرض وما عليه خطيئة(٣)

وروى ابن ماجه فى سننه قال : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا أبن ابى فديك حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال :دخلت على النبى ﷺ وهو يوعك

---

(١) سورة العنكبوت : أيه رقم ١-٢

(٢) سورة محمد أيه رقم ٣١

(٣) الترمذى : سنن الترمذى الطبعة الثانية ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٤ حققه ، وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف ،ج٤ ص٢٨

فوضعت يدى عليه ، فوجدت حرة بين يدى فوق اللحاف • فقلت يا رسول الله ، ما أشدها عليك ؛ قال ( إنا كذلك يضاعف لنا البلاء ويضاعف لنا الأجر ) قلت : يارسول الله ، أى الناس أشد بلاء ؟ قال : ( الأنبياء ) قلت يا رسول الله ، ثم من؟ قال ( ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلي بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها وأن كان أحدهم ليفرح البلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء[1]

من هذه النصوص المطهرة ، من القرآن والسنة النبوية نستخلص منها أن هناك إرتباطا وثيقا بين درجة وصول الإنسان الى مرتبة الإيمان والقرب من الله عز وجل وبين وقوعه فى الإختبار الربانى والإبتلاء الذى يمتحن به إيمانه ، وعلى قدر هذا الإيمان يكون الإبتلاء , وهذا واضح وجلى فى صدر سورة العنكبوت فى قول الله تعالى { الم • أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فيلعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين }[2]

قال الشيخ المراغي فى تفسير هذه الآية : أيها الناس ، لا تظنوا أنى خلقتكم سدى ، بل خلقتكم لترقوا الى عالم أعظم من عالمكم ، وأرقى منه فى كل شئونه ، ولا يتم ذلك إلا بتكليفكم بعلم وعمل ، واختباركم من آن إلى آخر بإنزال النوازل والمصائب ، فى الأنفس والأموال والثمرات

(١) أبن ماجه : سنن إبن ماجه ، حققه محمد فؤاد عبد الباقى • طبعة عيسى الحلبى ج٢ص١٣٣٥

(٢) العنكبوت : أيه رقم ١-٣

الصريح تركت المنطقة التى تختلط فيها الأوصاف ، ويشتبه فيها الحكم وفوضت لكل أمرىء أن يتفتى فيها قبله ، ويتحرى فيها طمأنينة نفسه ، أخذا باالأحوط والأسلم .

**رابعا فى مجال الآفاق**

ترك الوحى للعقل أن يجول فى أفاق هذا الكون العريض ماشاء ، صاعدا الى الأفلاك وهابط الى الأرض ، ومتأملا فى النفس فترك له أن يكتشف من ظواهر هذا الكون ما إستطاع وأن يسخر من قواه ماقدر عليه فكل مافيها سخره الله لمنفعته .

**خامسا فى الإختراع**

ترك الوحى للعقل أن يتبكر ويخترع فى وسائل الحياة وأمور الدينا ماشاء مادام ملتزما حدود الحق والعدل

**سادسا فى الإستفادة من تجارب الأخرين**

ترك الوحى للعقل أن يستفيد من تجارب الآخرين وينتفع بتراث السابقين معارف اللاحقين[١] فهذه هى مناطق نفوذ العقل التى تركها الوحى للعقل بأن يجول فيها .

أما الوحى فمجالاته محدودة ومعروفة من خلال حديث جبريل عليه السلام حين جاء يعلم الأمة الاسلامية أمور دينهم ،ويسأل النبى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والنبى ﷺ يجيبه وجبريل عليه السلام يصدقه فعلمنا

(١) يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ، طبعة مكتبة وهبة ، ٥٦ -٥٨

من هذا ان الوحى مناطه أركان الإسلام الخمسة وأن الإيمان بأركانه الستة والإحسان بعبادة الله عز وجل الخالصة لوجهه الكريم رغم أننا لا نراه إلا أنه يرانا ، ولا دخل للعقل فى هذه الأشياء السابقة الذكر ، إلى جانب مجال الحل والحرمة ، فى الإسلام ، فالذى يقوم بإحلال الحلال وتحريم الحرام هو الله سبحانه وتعالى ، وليس للعقل أى تدخل فى هذا المجال على الإطلاق ، على سبيل المثال فالأصل فى الأعراض والدماء هو حكم الحرمة ، حتى يأتى الشارع الحكيم ويحل لنا بعض الأعرض من النساء بالزواج أو بملك اليمن ، وأما الدماء فيحل لنا دم الحيوانات ، بالذبح ، الشرعى ، ودم البشر بمحاربتهم فى ميدان الجهاد ، اثناء الحرب ، أو قتل المرتد والقاتل عمدا والزانى الثيب ، فهذه أحوال يحل فيها سفك الدماء بشرع الله ، أما فى الملبس والمطعم والمشرب ، فالأصل فيها هو حكم الحل ، فكلها حلال حتى يأتى الشارع الحكيم وحرم بعضا منها ، فمن الملبس لبس الحرير للرجال ، ومن المطعم أكل لحم الخنزير ، ومن المشرب تحريم شرب الخمر ، فهذه أمثلة لمجالات الوحى ، دون تدخل العقل فيها ، ولاقدرة له البته ق فى أن يصل اليها أو أن يفتى فيها ، فهذه مناطق نفوذ الوحى كما أن للعقل مناطق نفوذه كماسبق ذكر ذلك

وبين العقل وما يحتويه من أقيسة منطقية مرتبة ، وبين الوحى وما يتضمنه من أمور غيبية لاعلم للإنسان بها فى أكثر الأحيان ولا

يستطيع الإنسان فهمها ولا يملك إلا أن يعطى ثقته الكاملة لصاحب الوحى عز وجل ،وبين القياس العقلى وبين التسليم لله والثقة فيه هناك كثير من المواقف الإختبارية من قبل الله عز وجل يقف الإنسان أمامها حائرا مندهشا ، عقله لا يفهمها لأنه لا يدرك مداها ومغزاها حقيقتها والمرء الفطن حينئذ لا يملك إلا أن يثق فى حكمة الله عز وجل لأنه سبحانه وتعالى يريد له الخير دائما ، أما الأغبياء فهم يقفون فى هذه المواقف الإختبارية بأقيستهم العقلية ، التى يترتب عليها وقوعهم فى التهلكة وفى غضب الله عز وجل ، وهذه المواقف الإبتلائية محدودة ولها تعلقات مختلفة ومتنوعة ، فهناك مواقف إبتلاء ، متعلقة بالتكاليف ( الأمر والنهى ) ومواقف إبتلاء متعلقة بالشدائد ، ومواقف إبتلاء متعلقة بالخوارق ، ومواقف إبتلاء متعلقة بالثقة بالله مسبوقة بقليل من الجدل العقلى ، وهناك مواقف إبتلاء إختيارية يختارها العبد بأن يكون فيها عندما يصل الى درجة إحساسه بقربه من الله عز وجل ، وأخيرا هناك مواقف إبتلاء متعلقة بالقياس العقلى فقط ، وهذه المواقف وقع فيها المعاندون من الطواغيت الذين إغتروا بعقولهم فأوقعوا أنفسهم فى دائرة الكفر والشرك وهذا ما سوف نوضحه بالتفصيل فى موضعه بإذن الله تعالى

أما هجوم الوجودية على العقل وإستحبابهم فى الثقة الإلهية التى فهموها فهما خاطئا يخالف ما نحونا اليه تماما ، حيث أن كيركجارد قد نحا الى تسمية الثقة بالله بالسقوط فى الهاوية التى يترتب عليها إحساس

بالخوف والقلق تحت مسمى المفارقة المطلقة ، أما ثقة المرء في فهمنا يترتب عليه إحساس المرء بالطمأنينة ، السكينة بالله عز وجل لأنه ألقى كل ثقته في حكمة الله عز وجل رغم أن الموقف يتطلب الوقوف اليه بقليل من الدهشة العقلية إلا أن الثقة بالله تحمل المرء على إيمان يقيني راسخ في حكمة الله ﷻ "حاول كيركجارد أن يعالج العقيدة من منظور فردي مشخص ، وأن يفهم ماذا يعنيه الإيمان في ضوء التجربة الشخصية وقام في هذا الصدد بتحليل شخصيتين من شخصيات الكتاب المقدس هما ( أيوب) و(إبراهيم ) ووصل من هذا التحليل الى رؤية أكثر عمقا للإيمان إنتهت الى أن الايمان ليس نوعا من المواساة السهلة بل هو ضرب من ضروب الخوف والقلق ، وتمكن به من أن يزيل النقاب عن فكرتين محورتين صبغتا تفكيره الوجودي وهما فكرة ( المفارقة المطلقة) وفكرة السقوط في الهاوية التي ترتبط بالفكرة الأولى تمام الإرتباط[1]

هذه الأراء لدى كيركجارد تعبر عن الإيمان النصراني اللامعقول فالإيمان في نظره هو الحقيقة في أعلى صورها بعدم اليقين الموضوعي لأن الإيمان لا معقول" تبلغ الذاتية أقصى مداها في العاطفة ، والمسيحية هي المفارقة ، والمفارقة والعاطفة تتفقان معا إتفاقا تاما والمفارقة تتمشى مع ما يوجد في أعلى مراتب الوجود[2]

فهذه فكرة النصارى عن الإيمان لديهم ، وفهم الوجودية لرموز كتابهم المقدس بأن جعلوا علاقة الإنسان بربه هي علاقة المتناهي باللامتناهي علاقة قلق وإضطراب إتصال وصراع نفسي بين العبد وربه

(١) علي عبد المعطي محمد : قضايا الفلسفة العامة ومباحثها : دار المعرفة الجامعية ، بالاسكندرية ، ١٩٨٤ص٢٢٧

(٢) المرجع السابق: ص٢٣٢

أما نحن فقد ضرب القرآن الكريم أمثلة واقعيـــة ورمـــوز لشـــخصيات حقيقية قمة فى الثبات الإيمانى والثقة بالله عز وجل، والسكينة القلبية التى تميزوا بها بوضعهم فى مواقف إبتلاء ربـــانى أثبتـــوا فيـــها جدارتـــهم وإستحقاقهم بأن يكونوا مؤمنين بمعنى الكلمة وسوف نضــــرب بعــض الامثلة التى تعبر عن ذلك بهذا البحث ٠

## تمهيد

فى هذا التمهيد أحببت أن أقف على حقيقة ثلاثة مسميات حتى تتضح صورة عنوان البحث بالوقوف على كافة معانيه ، الخاصة بمعنى الإبتلاء ، وحقيقة القياس العقلى ، وحقيقة مسمى الثقة بالله ،وهى على النحو الآتى .

**اولا : معنى حقيقة الابتلاء**

أجمعت كتب المعاجم اللغوية على أن الإبتلاء يعنى الإختبار والإمتحان أو التجريب والتعريف " يقال أن بلاه أى أختبره وبلى فى الأمر أى إجتهد فيه وبالغ وبلى فلانا أى إختبره ، وإبتلاه أى جربه وعرفه(١)

وجاء فى لسان العرب بلوت الرجل بلوا وبلاء وإبتليته : أختبرته ، وبلاه يبلوه بولا أذا جربه وأختبره ، وأبلى بمعنى أخبر ، وإبتلاه الله أى امتحنه والاسم ، البلوى والبولة والبلية والبلاء ، وبلى بالشىء بلاء وإبتلى(٢)

---

(١) المعجم الوجيز : طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم سنة ١٩٩٠ ص٦٢

(٢) أبن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر بيروت لبنان ، ج١٤ ص٨٣

وإبتلى الرجل ببلاء فهو فى محنة والمحنة هى التى يمتحن بها الإنسان من بلية ، ومحنه من باب قطع ، وإمتحنه إختبره والإسم : المحنة[١]

والمحنة لا يشترط أن تكون جديدة وجها واحدا للبلاء ، بل أن هناك وجها آخر للبلاء وهو المنحة ، وعلى ذلك فالبلاء من الممكن أن يكون إمتحان بالخير أو بالشر

قال الفيروزابادى: " وإبتليته : أختبرته وإبتليت الرجل فأبلانى : أستخبرته فأخبرنى ، وإمتحنته واختبرته ، كبلوته بلوا وبلاء ، والإسم البلوى والبية والبلوة بالكسر ، والبلاء : الغم كانه يبلى الجسم ، والتكليف بلاء لأنه شاق على البدن ، أو لأنه إختبار والبلاء يكون منحة ويكون محنة[٢] والمنحة تستلزم الشكر ، أما المحنة فتستلزم الصبر ، وكلاهما بلاء وإختبار من الله ﷻ قال الراغب الأصفهانى : أن اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا ، نصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء ، فالمحنة مقتضية للصبر ، والمنحة مقتضية للشكر ، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصارت المنحة أعظم البلاءين[٣]

---

(١) محمد بن ابى بكر الرازى : مختار الصحاح : ترتيب محمود خاطر طبعة دار المعارف ص٦١٧

(٢) الفيروزابادى : مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط ، دار الفكر العبى بيروت لبنان ج٤ ص٣٠٥

(٣) الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن حققه : محمد سيد كيلانى : طبعة مصطفى الباب الحلبى ، ص٦١

وهناك أمثلة على ذلك من القرآن الكريم مثل قوله تعالى { ونبلوكم بالشر والخير فتنة }[١] وقوله تعالى {وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم }[٢] راجع الى الأمرين : الى المحنة التى فى قوله تعالى { يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم }[٣] والى المنحة التى أنجاهم أى نجاهم الله تعالى من فرعون وعمله والأولى إستلزمت الصبر والأخيرة أوجبت الشكر ،

وخلاصة ماسبق ذكره أن الإبتلاء يعنى الإختبار والإمتحان والله ﷻ قدر لهذا الإنسان بأن يبتليه منذ أن خلقه قال تعالى { إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا }[٤] فجعل له سمعا وبصرا يدرك بهما المواقف التى يتعرض فيها للإبتلاء بالخير أو بالشر والإنسان لا يعرف مدى حقيقة وماهية الخير من الشر ، ما ينفعه مما لا ينفعه لأن الله يعلم ونحن لا نعلم ، والإنسان يكره الشيء ويكون فيه خيرا ، ويحب الشيء ويكون فيها شرا له قال تعالى { وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون }[٥]

(١) سورة الانبياء آية رقم ٣٥
(٢) سورة البقرة : آية رقم ٤١
(٣) سورة البرقة آيه ٤٩
(٤) سورة الإنسان : أيه رقم ٢
(٥) سورة البقرة أيه رقم ٢١٦

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو هل ينفع العقل بأقيسته المنطقية بأن يكون حكما عدلا منصفا فى المواقف الإبتلائية من قبل الله ﷻ ؟هذا ما سنعرفه من خلال هذا البحث لأننى لو قلت إن العقل لا ينفع حكما فإننى أصادر على ما سأذكره من أمثلة ، لكن أحب أن أذكر هناك مراتب إيمانية ودرجات قرب من الله عز وجل تتوقف على مدى سكينة القلوب وثقتها بالله فيما يبتليها من أمور

## ثانيا معنى حقيقة القياس

للقياس تعاريف مختلفة بحسب إشتغال كل فن به لكن المضمون فى الأغلب واحد ففى اللغة عرف القياس بأنه : تقدير شيء بشيء آخر ، كما قدر طول القماش مثلا بالمتر (١)

وعرفه المناطقة بأنه ( قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر )(٢)

وهذا تعريف إصطلاحي لأهل هذا الفن

أما علماء الأصول فقد عرفوه بأنه بيان حكم أمر غير منصوص على حكمه بالحاقة بأمر معلوم حكمه بالنص عليه فى الكتاب أو السنة

---

(١) محمد شمس الدين ابراهيم سالم : تيسير القواعد المنطقية (شرح الرسالة الشمسية ) الطبعة الرابعة ١٩٨٦ ص٢٠٢

(٢) قطب الدين محمود بن محمد الرازى المتوفى سنة ٧٦٦ تحرير القواعد المنطقية : طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٩٤٨ ص١٣٨

ويعرف علماء الفروع بأنه إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه للإشتراك بينهما فى علة الحكم • وبالقياس ترد الأحكام التى يجتهد فيها المجتهد الى الكتاب السنة لأن الحكم الشرعى يكون نصا أو حملا على نص بطريق القياس(١)

والمشتغل بالقياس من الممكن أن يترك أحد مقدمتيه مثل الكبرى وذلك للتلبيس حتى يبقى الكذب خفيا فيه مثل " هذا الشخص فى القلعة خائن سيسلم القلعة لأني رأيته يتكلم مع العدو وتمام القياس أن تضيف اليه أن كل من يتكلم مع العدو فهو خائن ،وهذا يتكلم معه فهو إذن خائن ولكن لو صرحت بالكبرى ظهر موضع الكذب ،ولم يسلم أن كل من يتكلم مع العدو فهو خائن •

أما ترك المقدمة الصغرى فمثال قولك أتق مكيدة هذا فيقال لم فنقول لأن الحساد يكايدون فتترك الصغرى وهو قولك هذا حاسد وذلك إنما يكون عند ظهور الحسد منه وهو كقولك هذا يقطع لأن السارق يقطع وتترك الصغرى ويحسن ذلك إذا إشتهر بالسرقة عند المخاطب وعلى هذا أكثر مخاطبات الفقهاء لاسيما فى كتب المذهب وذلك حذرا من التطويل(٢)

---

(١) حسن عبد الحميد عويضة : النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة لدراسة مقارنة : مطبعة الأمانة ١٩٧٩ ص٢٣

(٢) أبى حامد محمد الغزالى : معيار العلم فى فن المنطق ، مكتبة الجندى ١٩٧٣ ص١٥٠

وقد تترك النتيجة فى الأقيسة المركبة لوضوح النتيجة ويذكر من كل قياس مقدمة واحدة ، وأيضا قد تترك النتيجة فى المخاطبات "إما لظهورها وإما لأنها لا تقصد للإحتجاج بل تذكر المقدمات تعريفا لها فى أنفسها إعتمادا على قبول المخاطب فقد قال النبىﷺ ( يموت المرء على ماعاش عليه ويحشر على ما مات عليه ) وهاتان مقدمتان نتيجتهما أن المرء يحشر على ما عاش عليه فحالة الحياة هى الحد الأصغر وحالة الممات هى الحد الأوسط ومهما ساوت حالة الحشر حالة الموت وساوت حالة الموت حالة الحياة فقد ساوت حالة الحشر حالة الحياة(١)

والمقصود مما سبق ذكره أن صور الأقيسة السابقة التى يترك فيها أحد مقدمتى القياس أو النتيجة كل ذلك راجع الى للتيسير ولوضوح النتائج فى ذهن المخاطب . فلا ينبغى أن يغفل الإنسان عنها بالنظر الى الصور التى صيغت عليها ، بل ينبغى أن لا يلاحظ إلا الحقائق المعقولة دون الألفاظ المذكورة ، وعلى كل فإن القياس قد تمد عليه وإستخدم منذ القدم خصوصا فى الأحكام الشرعية . فإعتبر القياس مصدر من مصادر التشريع بعد حجية القرآن والسنة والإجماع ، " فقد انعقد اجماع الصحابة على ثبوت القياس فى الإحكام فنجد أن أبا بكر الصديق أعطى الجد حكم الأب فى المراث بإعتباره ابا لأن فيه معنى الأبوة ، وأبن عباس قاس الجد على إبن الابن ، وعمر بن الخطاب أمر أبا موسى الأشعرى وقال له " أعرف الأشياء والنظائر ثم قس الأمور عند ذلك(٢)

(١) المرجع السابق ص ١٥٢

(٢) حسن عبد الحميد عويضة ، ص٢٣

## أقسام القياس

قد قسم العلماء القياس الى قسمين :

أ- القياس الإستثنائى : وهى ماذكرت فيه النتيجة أو نقيضها بمادتها وصورتها مثل : كلما كان هذا جسما كان متحيزا لكنه جسم، وهو متحيز فالنتيجة وهى قولنا ( هو ( متحيز ) مذكورة فى القياس بصورتها ومادتها ، ولكنها خالية من الحكم ، ولذلك لا يصح الإعتراض لأن فيه مصادرة على المطلوب ، وهى أخذ الدعوى فى الدليل . ومثل كلما كان هذا جسما كان متحيزا ، لكنه ليس بمتحيز ، وهو ليس بجسم ، وهذه النتيجة قد ذكر فى القياس نقيضها بالفعل وهو ( هذاجسم ) وسمى هذا القياس استثنائيا لذكر أدة الاستثناء فيه وهى لكن ،

٢- القياس الإقترانى : وهو الذى لم تذكر فيه النتيجة ولا نقيضها بالفعل مثل العدل فضيلة ، وكل فضيلة يجب التحلى بها ، ينتج العدل يجب التحلى ، فهذه النتيجة لم تذكر فى القياس بصورتها وهيئتها ، وإنما ذكرت فقط بمادتها .

وسمى هذا القياس إقترانيا لأقتران الحدود فيه ، أو لذكر أدة الاقتران فيه وهى الواو[١]

وعلى ذلك فإن القياس الإستثنائى يذكر بمادته وصورته والنتيجة ضمنية ولا تأتى بجديد أما القياس الإقترانى فالنتيجة غير موجودة فى مقدماته إلا بمادتها ، لكن صورتها غير موجودة . والقياس الأقترانى

---

(١) عوض الله حجازى : المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم طبعة دار الهدى للطباعة ١٩٨٥ ص ١٤٥

يكون بمقدمتين بينهما حد أوسط مشترك " لأن المطلوب يعلم بعد ما هـو مجهول بشيء غيره ، وذلك الشيء لابد من أن تكون لـــه نسـبة الـــى المطلوب بسببها يحصل العلم وتلك النسبة إمـــا أن تكـــون الـــى كليـــة المطلوب أو جزء مجزء منه فإن كانت الى كليته فإنما تكون بأن يلـــزم المطلوب وضع شيء أو رفعه وهذا هو القياس الإستثنائى ، وأن كـــانت النسبة الى جزء مجزء من المطلوب فلابد من أن تكون تلك النسبة بحيث توقع بين جز أى المطلوب نسبة هى المطلوبة فى الحكم، وإنمـــا يكـــون ذلك بأن يوجد شيء واحد جامع بين الطرفين بـــأن يوجـــد لأحدهمـــا ويوجد الآخر له أو يسلب عنه ، أو يوجد لأحدهما ويسلب عن الآخـــر أو يوجد له الطرفان أو يوجد له أحدهما ويسلب عنه الآخر وهـــذه اهـــى الأشكال الثلاثة الحملية الملتئمة من مقدمتين[1]

(١) زين الدين عمر بن سهلان الساوى تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوى : البصائر النصيرية فى علم المنطق :مطبعة محمد على صبيح ١٩١-١٩٢

## أنواع القياس

بعض علماء الأصول قد نوع القياس الى قياس شمول وقياس تمثيل فقياس الشمول عرفوه بأنه " إنتقال الذهن من المعين الى المعنى العام المشترك الكلى المتناول له ولغيره والحكم عليه بما يلزم المشترك الكلى بأن ينتقل من ذلك الكلى اللازم الى الملزوم الأول ، وهو المعين فهو إنتقال من خاص الى عام ، ثم إنتقال من ذلك العام الى الخاص من جزئى الى كلى ، ثم من ذلك الكلى الى الجزئى الأول فيحكم بذلك الكلى ولهذا كان الدليل أخص من مدلوله الذى هو الحكم فإنه يلزم من وجود الدليل وجود الحكم ولا يكون أخص من لازمه بل أعم منه أو مساوية له ، وهو المعنى بكونه أعم ، والمدلول الذى هو محل الحكم وهو المحكوم عليه المخبر عنه الموصوف الموضوع إما من الدليل أو مساويه ، فيطلق عليه القول بأنه أخص منه لا يكون أعم من الدليل إذ لو كان أعم منه لم يكن الدليل لازما له فلا يعلم ثبوت الحكم له فل يكون الدليل دليلا،

وأما قياس التمثيل فهو إنتقال الذهن من حكم معين الى حكم معين لأشتراكهما فى ذلك المعنى المشترك الكلى ، لأن ذلك الحكم يلزم المشترك الكلى ، ثم العلم بذلك اللزوم لابد له من سبب ، فهو يتصور المعنى أولا ، وهما الأصل والفرع لازمهما وهو المشترك ، ثم الى لازم اللازم وهو الحكم ، ولابد أن يعرف أن الحكم لازم المشترك وهو

الذى يسمى هناك قضية كبرى ثم ينتقل من إثبات هذا اللازم الأول المعين فهذا هو هذا في الحقيقة ، وإنما يختلفان فى تصوير الدليل ونظمه وإلا فالحقيقة التى بها صار دليلا ، وهو أنه مستلزم للمدلول حقيقة واحدة ومن ظلم هؤلاء وجهلهم أن يضربون المثل فى القياس بقول القائل : السماء مؤلفة فتكون محدثة قياسا على الإنسان ، ثم يوردون على هذا القياس ما يختص به ـ فإنه لو قيل السماء مؤلفة وكل مؤلف محدث لو رد عليه هذه الأسئلة وزيادة[١]

ورغم تباين كل من القياس الشمولى والتمثيلى إلا أن العلماء قد تنازعوا فيهما فقالت طائفة من أهل الأصول هو حقيقة فى قياس التمثيل مجاز فى قياس الشمول كأبى حامد الغزالى ، وقالت طائفة بل حقيقة فىقياس الشمول مجاز فى قياس التمثيل كأبن حزم وقال جمهور العلماء بل هو حقيقة فيهما والقياس العقلى يتناولهما جميعا وهذا قول أكثر من تكلم فى أصول الدين وأصول الفقه[٢]

وممن ناصر الرأى الأول فى أن قياس التمثيل أبلغ من قياس الشمول هو ابن تيمية حيث قال فى نقض المنطق " الحقيقة أن قياس التمثيل أبلغ فى إفادة العلم واليقين من قياس وأن كان علم قياس الشمول أكثر فذاك أكبر ، فقياس التمثيل فى القياس العقلى كالبصر فى العلم

---

(١) جلال الدين السيوطى : صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ص٢٣٥

(٢) المرجع السابق : ص٢٣٣

الحسي ، فقياس الشمول : كالسمع في العلم الحسي ، ولا ريب ان البصر أعظم وأكمل ، والسمع أوسع وأشمل ، فقياس التمثيل ، بمنزلة البصر ، كما قيل من قاس ما يره بما رأى وقياس الشمول يشابه السمع من جهة العموم(١)

وعلى كل فإن أهل التخصص قد إتخذ القياس مصدرا أساسيا من مصادر التشريع الإسلامي لكي يستخلصوا ويستخرجوا الأحكام التي لم يرد ذكرها صراحة في الأشياء وذلك تأتي بقراءة القرآن الكريم واستعراضها وكذلك أحاديث التشريع فقد وجدوا فيها الكثير من الاحكام وفطنوا أن الأحكام مرتبطة بعلتها فتدور معها وجودا وعدما، وتذكروا أن النبي ﷺ كان إذا سئل عن حكم واقعة فأنه ،كان ﷺ يكتفي ببيان الحكم وأخرى كان يذكر للسائل نظير المسئول عنه ، ليقف السائل على الحكم ثم يقرره له ، وهذا بيان منه ﷺ الى ان القياس مصدر من مصادر التشريع الإسلامي ، إلا أنه رتب في المرتبة الرابعة بعد القرآن والسنة والإجماع ، وتقدم الإجماع على القياس رغم عدم وجودة في حياة النبي ﷺ لأن التشريع كان مستمرا ولم يحسم ويتحدد إلا بعد وفاة النبي ﷺ فرتب هكذا الإجماع ثم القياس بعد القرآن والسنة ، هذه الأنواع من الأقيسة ، هي للذين تخصصوا في مجال إستخلاص الأحكام الشرعية من

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية : نقض المنطق ، صححه محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية ١٩٥١ ص١٦٦

مصادرها ، لكن الانسان العادى البسيط مزود بقياس ربـــانى يســاعده منطق الهى فطرى ، يحكم بها على الأشياء فى مواقفــه العديــدة التـــى يواجهها ، مستندا بتجاربه السابقة والسالفة أو التى ســمعها أو حدثـت لغيره بأن تكون نموذجا يقاس عليه ما يحدث له الآن مثل علمه بأن الماء مغرق ومميت إذا غمست رأس الإنسان فيه فيقاس على ذلــك إذا قـابل موقف مشابه لذلك وكذلك أحكام عديدة فطرية مثل النار المحرقــة أو أن مقابلة العدو وحاصره بينه وبين البحر مدركة بالهلاك الى غير ذلك مــن الأقيسة العقلية الفطرية للإنسان العادى البسيط والبعيــد عــن دهــاليز التخصص أما فى مجال التخصص فإن العلماء قــد إختلفوافــى حجيــة القياس وهذا الإختلاف على النحو الآتى ،

**موقف العلماء من حجية القياس**

يرجع الخلاف فى حجية القياس الى أمرين ، أولهما التعبد به مــن جهة العقل وثانيهما إنعكاس ذلك شرعا ، أما بالنسبة للنقطة الأولى وهــو التعبد بالقياس عقلا ففيه ثلاثة آراء

الرأى الأول : أنه محال ، وهو مذهب الشيعة الإمامية والنظام من المعتزلة .

المذهب الثالث ، أنه يعمل به في صورتين ،

**الأولى :** أن تكون علة الأصل منصوصة ، إما بصريح اللفظ أو إيمائه

**الثانية :** ان يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل، وهو مذهب القاساني والنهرواني وداود والأصفهاني ، ومذهب الشوكاني كما صرح به اكثر من مرة .

وخلاصة هذه الآراء كلها أنها ترجع – في الجملة– الى إتجاهين :

**الاتجاه الأول :** أن القياس حجة شرعية ، ومصدر من مصادر التشريع الإسلامي ، وهذا ما عليه جمهور المسلمين ، والسلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين .

**الإتجاه الثاني :** أن القياس ليس بحجة ، وهو مذهب الشيعة والنظام وأهل الظاهر ومن سار على منهجهم (١)

وحتى الذين أنكروا حجية القياس في مجال التخصص ( المسائل الشرعية ) فإنهم لا يستطيعون إنكاره أو تجاهله في المواقف اليومية المعاشة ، لأن تجارب الإنسان ومواقفه السابقة التي تعلم منها أحكام معينة يقيس بها على ما يوجهه من مواقف جديدة وبذلك تكون الخبرة لها دورا هاما في مواجهة الإنسان لأحداث يومياته.

---

(١) المرجع السابق ص ٩٤

الرأى الثانى : أنـــــه واجـــــب .

الرأى الثالث : أنه جائز وهو رأى الأئمة الأربعة وأكثر الفقهاء والمتكلمين ، وبه قال السلف من الصحابة والتابعين[١]

أما التعبد بالقياس مـــن جهــة الشـــرع ففيــه آراء كثـيرة منــها مذهب الجمهور : وهو أن التعبد بالقياس جائز عقـــلا ، ويجـب العمل به شرعا ، هل ثبوت العمل به بدليل السمع والعقل معـــا ، أم بالسمع فقط ، وهل دليله من السمع قطعي أم ظني ؟ خـــلاف بيـن العلماء يراجع فى مظانة .

قال ابن السبكى : القياس من الدين ، لأنه مأمور به لقوله تعالى فى سورة الحشر ،

{ فاعتبروا يا أولى الأبصار }

قال الغزالى : والذى ذهب اليه الصحابة - رضـــى الله عنـهم - بأجمعهم وجماهير الفقهاء والمتكلمين بعدهم ، رحمهم الله وقوع التعبد به شرعا

المذهب الثاني : أن القياس جائز عقلا ، ولكنه لم يرد فى الشرع ما يدل على وجوب العمل به وهو مذهب أهل الظاهر

قال ابن حزم " ذهب أهل الظاهر الى ابطال القول بالقياس جملــة ، وهو قولنا الذى ندين الله به والقول بالعلل باطل وللشوكانى ميل الى هـذا الرأي ، وان صرح بأنه يعمل به فى صورتين كالمذهب الثالث الآتي

---

(١) شعبان محمد اسماعيل : الامام الشوكانى ومنهجه فى أصول الفقه طبعة دار الثقافة ، ١٩٨٩ ص٩٤

حقيقة مفهوم الثقة ( الثقة بالله )

وردت كلمة الثقة في المعاجم اللغوية في باب وثق ، وهي وثق ، الثقة ، مصدر قولك وثق به يثق ، بالكسر فيهما ، وثاقة وثقة ائتمنه ، وأنا واثق به وهو موثوق به وهي موثوق بها وهم موثوق بها وهم موثوق بها وهم موثوق بهم ، فأما قوله ، الى غير موثوق من الأرض تذهب .

فإنه أراد الى غير موثوق به ، فحذف حرف الجر فارتفع الضمير فاستتر في اسم المفعول ، ورجل ثقة وكذلك الإثنان والجمع ، وقد يجمع على ثقات وكذلك الاثنان والجمع ، وقد يجمع على ثقات ويقال : فلان ثقة ، وهي ثقة وهم ثقة ويجمع على ثقات في جماعة الرجال والنساء ، ووثقت فلانا إذا قلت أنه ثقة وأرض وثقة كثيرة العشب موثوق بها وهي مثل الوثيجة وهي دوينها ، وكلا موثق ، كثير موثوق به أن يكفى أهله عامهم ، وماء موثق كذلك[1]

وورد مادة وثق في القرآن الكريم والسنة المطهرة تحمل معنى الوثوق والثقة بالله ﷻ فقول الله تعالى { فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد إستمسك بالعروة الوثقى }[2]

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ص٣٧١

(٢) البقرة أيه : ٢٥٦

وقوله تعالى {ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد إستمسك بالعروة الوثقى}(١) وورد مادة وثق فى السنة المطهرة مثل قول النبى ﷺ ( أنا لا أثق إلا برحمتك )(٢)

وقوله ﷺ فى حديث آخر " عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخله معه فى القصعة ثم قال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه(٣)

أن المؤمن الحقيقى يضع كل ثقته فى خالقه ، يتوكل على الله فى جميع شئون حياته توكلا على الله لا تواكلا ، فهو يأخذ بالأسباب والثقة الكاملة بالله تملأ قلبه فهو مطمئن على رزقة آمن على أجله لا يخاف الموت ، السكينة مسيطرة على حواسه وقلبه وعقله ، مهما تعرض الى الشدائد والأزمات فإن ثقته بالله ثابتة راسخة ، يعلم أن الله معه دائما ، هو منقذه وهو نصيره دائما ، إذا كلف بأمر وهذا الأمر لا يتعقله عقله فانه يمتثل الى أمر الله فينفذه وإذا نهى عن شيء وهذا النهى لا يتعقل فإنه أيضا يمتثل الى ما نهاه الله عنه ، ثقة بالله ، بعيدا عن الجدل والمناقشة ، التى تدخله فى المجهول ، التى يترتب عليها ؛ إغضاب الله

(١) لقمان آية ٢٢

(٢) الامام احمد بن حنبل :مسند الامام أحمد بن حنبل ج١ ص٤١٢؛ وج٥ ص١٩١،

(٣) الامام الترمذى صحيح الترمذى ، كتاب الاطعمة باب ماجاء فى الأكل مع المجذوم ج٤ /٢٦٦ ( ١٨١٧) وقيل هذا حديث غريب وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفة – ك الأطعمة – باب الاكل مع المجذوم ج٥/٥٦٨(٤)

منه ، وأيضا فى الأزمات والشدائد الحتمية التى يجزم العقل فيها أنه واقع فى التهلكة ولا شك ، لكن الثقة بالله تثبت المؤمن وتجعله راسخا آمنا غير جذوع ولا يائس من رحمة الله وحتى فى إنعام الله على العباد بالملك والصحة والرزق الوفير ، فأن ذلك يحمل المؤمن على شكر الله ثقة بالله ، بأنه سبحانه وتعالى قد من عليه بتلك النعم ليبتليه فيشكر ، ويختبره ، فيقترب من الله سبحانه وتعالى حتى فى الإخبار التى تلقى على المؤمن وتقع على سمعه لأول مرة فيرفضها العقل لإستحالتها ، ولتناقض منطقها ، إلا أن المؤمن يتذكر أن المخبر هو الله عز وجل وثقته بالله تحمله على أن يصدق ويسلم ويمتثل ، لله ولقضاءه مهما كان مستحيلا ، غريبا مستبعدا ، العقل والمنطق يرفضها إلا أن الثقة تتغلب على كل هاجز يشكك أو يحاول أن يشكك فالثقة بالله تحمل العبد المؤمن على الأمل فى النجاة من كل مكروه مهما كان لأن الله بصير بالعباد ، وهو أعلم بهم من غيرهم وأرفق بعباده من عباده ورحمة الله واسعة لا تحد ولا تنتهى "

الايمان والأمل متلازمين ، فالمؤمن أوسع الناس أملا ، وأكثرهم تفاؤلا واستبشارا ، وأبعدهم عن التشاؤم والتبرم الضجر ، إذ الايمان معناه الاعتقاد بقوة عليا تدبر هذا الكون لا يخفى عليها شىء ، ولا تعجز عن شىء ، الاعتقادة بقوة غير محصورة ، ورحمة غير متناهية ، وكرم غير محدود ، الاعتقاد باله قدير رحيم ، يجب المضطر اذا دعاه ، ويعفو عن السوء ، يمنح الجزيل ، ويغفر الذنوب ، ويقبل التوبة عن عبادة ،

ويعفو عن السيئات ، اله هو أرحم بعباده من الوالدة بلودهـــا ، وأبـر بخلقه من أنفسهم ، الله يفرح بتوبة عبد أشد من فرحة الضال إذا وجـد ، والغائب إذا وفد والظمآن إذا ورد . اله يجزى الحسنة بعشر أمثالها الـى سبعمائة ضعف أو يزيد ، ويجزى السيئة بمثلهاأو يعفـــو الـــه يدعـو المعرض عنه من قريب ، ويتلقى المقبل عليه من بعيد ، ويقول أنا عنـد ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فـــى نفسى ، وأن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وان تقرب الـــى شبرا تقربت اليه ذراعا وأن تقرب الى ذراعا تقربت اليـــه باعـــا ، وأن أتانى يمشى أتيته هرولة ، اله يداول الأيمان بين الناس ، فيبدل من بعـد الخوف أمنا ، ومن بعد الضعف قوة ، ويجعل من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا ، ومع كل عسر يسرا ،المؤمن الذى يعتصم بهذا الالـــه البر الرحيم ، العزيز الكريم ، الغفور الودود ، ذى العـــرش المجيـد ، الفعال لما يريد ، يعيش على أمل لا حد له ، ورجاء لا تنفصم عـــراه ، انه دائما متفائل ، ينظر الى الحياة بوجه ضاحك ، ويستقبل أحداثها بثغـو باسم ، لا بوجه عبوس قمطرير (١)

فهو إذا تعرض الى عسر فأمله فى يسر الله موجود قال تعالى {فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا } (٢)

واذا إقترف ذنبا أو خطيئة مهما كانت ثقلها فإن أمله بالله وثقته فيـه تحمله على ترك باب التوبة والإستغفار والإنابة قال تعالى {قل ياعبـادى

(١) يوسف لقرضاوى : الايمان والحياة مكتبة وهبة ص١٢٨

(٢) الشرح آية ٥و٦

الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، أنه هو الغفور الرحيم }[١]

وإذا مرض مرضا فانه يثق فى رحمة الله وقدرته بأن يخفف آلامه ويجعل تلك الآلام مكفرة لذنوبه ومساعده على ارتقاء درجاته عند الله ، وفوق كل ذلك يأمل فى الشفاء لأن الشافى هو الله سبحانه وتعالى { الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين }[٢]

وهو الذى إذا حلت به مصيبة من مصائب الدنيا مثل الخوف والجوع أو نقص الأموال والثمار أو الانفس لحتسب ذلك عند الله عز وجل ، فإستحق الصلاة من الله والهدى والرحمة قال تعالى {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا أن لله وإنا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون}[٣]

وهو الذى إذا أدركته الشيخوخة ، وأشتعل رأسه شيبا ، لم ينقطع أمله بالله عز وجل وثقته فى رحمة الله بأن يرزقه بالولد ويجعل له إمتدادا وذكرى قال تعالى { هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء }[٤]

---

(١) الزمر ايه ٥٣

(٢) الشعراء : ايه ٧٨ – ٨٠

(٣) البقرة أيه ١٥٤– ١٥٦

(٤) ال عمران ٣٨

{ وأنى خفت الموالى من وراءى وكانت امرأتي عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقيوب واجعله رب رضيا }(١)

فهذه هى الثقة المتناهية بالله عز وجل تحمل الأمل فى رحمة الله عز وجل والرجاء فى فرجه والطمع فى قدرته التى يتعلق بها المؤمن متوكلا عليه لا متواكلا ، بأن ينصره ويرزقه ويشفيه ويفرج كروبه ويخرجه من شدائده ويلهمه الشكر عند النعم ، فهذا هو ثبات المؤمن وأمله وثقته بالله عز وجل ، لا كما تظن الوجودية بأن الغاء العقل فى مواقف الابتلاء يحمل العبد على القفز فى اللامعقول ، او بمعنى الالقاء فى الهاوية ، وكأن العبد يجازف ويخاطر ويراهن على عقله ، وهو وحظه ، مع هذا المجهول ، وكأن الإنسان هذا مغمور فى لفافة من اليأس والقنوط ، لكن العبد المؤمن ليس كذلك ، ومن الغريب أن الإنسان يذهب الى الطبيب يلتمس لديه العلاج ويضع ثقته الكاملة فى قدرات هذا الطبيب رغم أن علمه محدود متناهى إلا أن المريض يثق فيه ، ويمتثل لجميع أوامره رغم أن ورود الخطأ فيها وارد ، وأيضا يتجرع الدواء من الطبيب الصيدلي ثقة فيه وفى دوائه وفيما دله عليه رغم انه من الممكن أن يكون الدواء مؤلفا من سموم وعقاقير ، القدر منها مهلك لكن النسب من تلك السموم والعقاقير يظن أنه يشفى ، فالثقة العمياء فى المخلوقات دون الثقة فى رب المخلوقات تحمل المرء على التأمل والدهشة ، رغم

(١) مريم : ٥و٦

أن الأولى بالثقة هو صاحب العلم الامتناهي صاحب القدرة اللامتناهية صاحب الرحمة اللامحدودة رغم ذلك نجد من يجادل أمرا من أوامره سبحانه وتعالى ، ونجد من يبرر ويناقش نهيا نهانا الله عن إقترافه محاولين تبرير تلك الأوامر وتلك النواهي وتلك الشدائد ، وتلك الأخبار الغريبة تبريرا مقنعا ، للعقول وأقرب منه للمنطق، حتى ولو كنا نقول ذلك ونحن نعلم أننا نخدع أنفسنا ، ونضحك على بعضنا البعض، بألفاظ وجمل تسكن هذا العقل ، وتساير منطقة ، ونسينا ان الثقة بالله هى أولى من كل ذلك وأنجى من كل جهودنا المضنية ، وبإذن الله سوف أضرب بعض الأمثلة التى تؤكد ذلك ان الثقة بالله عز جل هى أولى من القياس العقلى ، خصوصا فى مواقف الابتلاء والاختبار من الله عز وجل ،

أولا ،مواقف الإبتلاء المتعلقة بالتكليف (الأوامر والنواهي)

جعل الله سبحانه لكل أمة شرعة ومنهاجا أى جعل لهم سبلا وسننا يسيروا عليها طبقا لظروف أماكنهم وأزمانهم وقدراتهم البدنية ، وذلك لاختبارهم بالأمر والنهى قال تعالى {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ماء اتاكم}(١) أى أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوا أو عزموا عليه من ذلك كله}(٢) وسوف نعرض بعضا من تلك الإختبارات التى تبين مدى ثقة هؤلاء بالله مستبعدين أعمال عقولهم لأنهم ، توكلوا على الله ووثقوا فيه سبحانه وتعالى

الموقف الأول

( أمر الله لإبراهيم عليه السلام بتركه لزوجه وولده عند المسجد الحرام)

أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بأن يأتى بزوجه هاجر وولده إسماعيل الرضيع ويسكنهما بوادى غير ذى زرع ولا ماء يخلو من الحياة ،وهما ضعيفان لا يملكان شيئا سوى مزود به قليل من الطعام وسقاء به قليل من الماء ،فكان موقف إبراهيم عليه السلام أمام إختيارين إما أن يحكم عقله وما يحتويه من منطق يقول أن هذا الوادى يخلو من الحياة ، وكل وادى بهذا الوصف فهو مهلك ، إذا هذا الوادى مهلك لزوجه ولولده الذى رزقه الله

---

(١) المائدة : ٤٨

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ص٦٦

به في شيخوخته وهذا هو منطق العقل وإما أن يمتثل الى أمر الله واثقا في رحمته ،وأن ثقته بالله عز وجل ستحميهم مهما كان حكم العقل ومنطقه ، أنهما سيهلكان وهذا ما حدث بالفعل أن رجحت كفة ثقة إبراهيم في ربه بتصرفه مع زوجه "بعد أن ترك الديار وإستودعهما الله في هذا المكان ، وقفل راجعا ، فتبعته أم اسماعيل وتعلقت به ، وامسكت بثوبه ، وقبضت على زمام دابته ، وقالت يا إبراهيم ، الى أين تذهب ؟ ولمن تتركنا بهذا الوادي الموحش المقفر ؟

حاولت أن تستعطفه ، ولعلها أشارت الى ابنها تسترحمه بحقه ، وتتوسل إليه بفلذة كبده ، وترجو ألا يخلى بينها وبين الجوع القاتل ، والعطش المميت ، وقد تكون سألته ، من يحميها من سطو الذئاب ؟ ومن يمنعها من فتك الوحوش ؟ وكيف يحتموت من لفح الشمس ، وحرارة الجو ؟ رأسالت تحت قدميه العبرات الغزيرة ، وذرفت الدموع السخينة ، ترجو أن يصيخ الى استعاطفها ، ويستجيب الى ندائها ، ولكنه لم يستمع إلى قولها ، ولم تلن قناته لرجائها ، بل أبان لها ان ذلك أمر وتلك إشارته ، فلابد لها من الخضوع لحكمه ، والتسليم لأمره[1]

وكانت تقول له ، إلى من تلكنا فجعل لا يرد عليها شيئا ، فقالت آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم فقالت إذا لا يضيعنا[2] وبذلك وضع إبراهيم عليه السلام ثقته بالله لاغيا منطق العقل الذى لو إتبعه لوقع فى المحظور لكن الموقف

(١) محمد أحمد جاد المولى ، قصص القرآن ، مكتبة دار التراث ص٥٧

(٢) ابى اسحق النيسبورى ، قصص الأنبياء ، المسمى عرائس المجالس ، المكتبة الثقافية ، ص٧٣

هذا موقف إبتلاء وإختبار من الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام ، فنجح في هذا الاختبار بجداره ، وذهب يدعو الله عز وجل بموجب ثقته بالله سبحانه وتعالي قائلا {وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر لإمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير }(١) فطلب الأمن والأمان أولا ، ثم طلب الرزق لهما وهذا ترتيب منطقي للمحافظة على حياتهما ، وكان عليه السلام يدعو ربه يدعو ربه

{ وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنا وأجبني وبنى أن نعبد الأصنام ، رب أنهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ، ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون }(٢) وبهذا تغلبت ثقة إبراهيم عليه السلام في ربه على منطق عقله في موقف اختباري متعلق بأمر من أوامر الله عز وجل ، فأوامر الله يجب ان تنفذ بصرف النظر عن منطقياتها او تعقلها ، لان الثقة بالله لها أبعاد لا يدركها الانسان لأن علم الله أكبر واحوط وفيه نجاة الإنسان ومصلحته

(١) البقرة أيه ١٢٦

(٢) ابراهيم : ٣٤-٣٦

## الموقف الثانى

أمر الله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده رزق إبراهيم عليه السلام فى شيخوخته باسماعيل عليه السلام عندما أصبح صبيا يافعا تقر عين إبراهيم به أمره بذبحه من خلال رؤية منامية ، ( ورؤيا الأنبياء حق )(١) ففطن عليه السلام إلى أمر الله واصبح أمام إبراهيم عليه السلام إختيارين أولهما إختيار مؤلم لكنه يساير منطق العقل حيث أن إبراهيم عليه السلام شيخا هرم قد بلغه الكبر وهو للولد أحوج من أى وقت مبق ثم أن إبراهيم وعده الله بتكثير ذريته فى حين أن ولده هذا ووحيده فى هذا الوقت قبل مولد إسحاق يؤمر بذبحه ومنطق العقل يقول هذا ولدى وحيدى فى شيخوختى ، وكل شيخوخة تخلو من الولد فهى ضعيفة متعبة إذا عدم وجود الولد متعب فهذا هو منطق العقل القاصر لكن إبراهيم عليه السلام ابتلى قبل ذلك ونجح فى هذا الابتلاء فما كان منه إلا أن يختار الطريق الآخر وهو وضع ثقته بالله التى ستكون عليه أرحم من منطق عقله فقد إمتثل من قبل لأمر الله وتركهما ثقة بالله ، وإيمانا به ، وإطاعة لأمره ، فجعل الله لهما من ضيقهما فرجا ومخرجا، ورزقهما من حيث لا يحتسبان ، ثم يؤمر بذبح هذا الولد العزيز ، الذى هو بركه ووحيده ، إن هذه لمحنة تنوء بها الجبال الراسيات ، ولكن العظائم كفؤها العظماء

---

(١) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى فى شرح صحيح البخارى الطبعة السلفية بالقاهرة ، ج١ ص٢٣٨-٢٣٩)

فعلى قدر إبراهيم ، وعلو منزلته ، وعلى مقدار ثبات يقينـــه ، وكمـــال إمانه يكون إبتلاؤه وإختباره .

استجاب لربه ، وامتثل لأمره ، وسارع الى طاعته ، وارتحل حتـــى لقى ابنه ، ولم يلبث أن القى اليه بتلك الرغبة التى تدك الجبال ، وتـنزع القلوب من الصدور ، فقال ، يابنى ، إنى أرى فى المنام أنـــى أذبحــك، فانظر ماذا ترى ؟[1]

قال تعالى : { فلما أسلما وتله للجبين }[2]

قال الأستاذ سيد قطب : هنا كان إبراهيم وإسماعيل قد أديا ، كانا قد أسلما ، كانا قد حققا الأمر والتكليف ، ولم يكن باقيا إلا أن يذبح إسماعيل ويسيل دمه وتزهـق روحه ، وهذا أمـر لا يعني شيئـا فى ميزان الله بعدما وضع إبراهيم وإسماعيل فى الميزان مـــن روحـهما وعزمـــهما ومشاعرهما كل ما أراده منهما ربهما .

كان الابتلاء قد تم والامتحان قد وقع ، ونتائجه قد ظهرت ، وغاياته قد تحققت ولم يعد إلا الألم البدنى ، وإلا الدم المسفوح ، والجسد الذبيـح والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء ، ولا يريد دمائهم وأجسادهم فـــى شيء ، ومتى خلصوا له وأستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا وقــد حققــوا التكليف وقد جاوزا الامتحان بنجاح[3]

(١) قصص الانبياء : ص٦٠

(٢) سورة الصافات اية رقم ١٠٤

(٣) سيد قطب : فى ظلال القران الكريم ، ص١٢٦

وهكذا إنتصرت الثقة بالله ولأوامره على منطقية العقل ، الذى نظرته محدودة قاصرة والله سبحانه وتعالى يريدنا مستسلمين لأوامره ، ممتثلين غير مجادلين مهما كانت هذه الأوامر غير منطقية .

## الموقف الثالث

أمر أم موسى بإلقاء رضيعها فى اليم

تعرضت أم موسى لموقف لا تحسد عليه ، وهو خوفها على رضيعها من أن يقتل بأيدى رجال فرعون حيث أنهم كانوا يذبحون الرضع الذكور عاما ويتركونهم عاما وكان موسى عليه السلام من مواليد عام الذبح ، فوقعت أمه فى حيرة من أمرها ، وهى إنقاذ حياة رضيعها بأى طريقة ، فأوحى اليها بأمر من قبل الله تعالى بأنها إذا خافت على رضيعها من الذبح فلتلقيه فى اليم ، وهنا يكون الموقف العصيب ، وإعمال العقل لا ينفذ ويتعارض مع أمر الله عز وجل ، فالعقل يقول أن هذا هو ماء نهر النيل ، وكل ماء نهر النيل مغرق ، إذا هذا ماء مغرق ، وهذا رضيعى لا يعرف العوم ، وكل ما هو كذلك فهو هالك ولا محالة ، فكيف أنقذه من موت محقق ومعروف وهو الذبح الى مصير مجهول ، يجزم العقل فيه بهلاكه وهو الغرق ، ولكن ثقة المؤمنين تتغلب على هواجز العقل ، وترجح كافة التوكل على الله عز وجل ، فأقدمت على أمر الله ثقة بالله وتوكلا على الله عز وجل فأنقذ رضيعها قال تعالى،{وأوحينا الى أم

موسى أن أرضيعه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنـــى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين }(١)

وقال تعالى { إذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن أقذفيه فـــى التـــابوت فإقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليـك محبة منى ولتصنع على عينى }(٢)

## الموقف الرابع

نهى آدم عليه السلام من أكله من أحد أشـــجار الجنـــة بـــأن لا يـــأكل أسكن الله تعالى آدم عليه السلام وزوجه الجنة ، بعد أن أهبط منـــــها أبليـس وأخرجه منها ، وأباح لهما أن يأكلا منها من جميع ثمارهـــا إلا شـجرة واحدة بعينها ، فقد نهاهما أن يقربا ثمارها ، وزودهما سبحانه بتحذيــــر شديد من عدوهما الشيطان الرجيم ، ولم يعترض آدم عليه السلام على هذا النهى ، وبهذه الشجرة بالذات ، ولم يثبت ألبته أى إعتراض منه ولا مـن زوجه على هذا النهى ، رغم أن هذا النهى غير منطقي عقلا لأن هـــذه الشجرة من شجر الجنة , وشجر الجنة كله أباح لهما أن يأكلا منه بدليـل قوله تعالى ( فكلا منها حيث شئتما ) وأستثنى هذه الشـــجرة بـــالذات ، فلماذا هذه ؟ العقل يقول ذلك ، لكن الثقة بالله والتوكل عليـــه تلـزم آدم

---

(١) سورة القصص : ٧

(٢) سورة طه أية رقم : ٣٨-٣٩

وزوجه بأن يمتثل إلى أمر الله ولا يأكلا من هذه الشجرة ولا يكون مثل عدوهما الذى أعمل عقله وأعترض على أمر وهذا ما سنبينه فى موضعه بإذن الله

ومن العجيب والغريب أن أبليس عندما ترك باب آدم عليه السلام فى الغواية بدأ بعقليهما وحاول الغواية بدءا بالعقل وبقياسه ومنطقه حيث قال لهما { ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين }[1] ( وقال فيما وسوس به لهما : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا منها إلا لأحد أمرين : إتقاء أن تكونا بالأكل منها ملكين أى كالملكين فيما أوتى الملائكة من الخصائص كالقوة وطول البقاء وعدم التأثر بفواعل الكون المؤلمة والمتعبة وغير ذلك ، أو أتقاء أن تكونا من الخالدين فى الجنة ، أو الذين لا يموتون البتة[2] وبذلك نفذ أبليس الى آدم وزوجه من باب قياس العقل الذى أوقعهما فى المحذور ولكن وقوعهم لم يكن وراءه عزم وسبك إصرار بدليل قوله تعالى {ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما }[3]

والشاهد مما سبق أن آدم عليه السلام وضع ثقته بالله عز وجل بعدم إعتراضه على النهى ، لكنه وقع فى المحذور وفى النهى نفسه بقياسه العقلى والمنطقى الذى نفذ اليه من خلال وسوسة أبليس له

(١) الاعراف أيه ٢٠

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ج٨ ص٣٤٨

(٣) طه ١١٥

## الموقف الخامس

نـهى الله سـبحانه أتبـاع طـالوت بـالا يشـربوا مـن النـهر إختتبر الله أتباع طالوت بألا يطعموا ماء النهر إلا قليلا منه وهـذا كمـا ورد فى الآية الكريمة فى قوله تعالى { فلما فصل طالوت بالجنود قـال أن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منـى إلا من إغترف غرفة بيده }(١) ٠

قال ابن عباس : هذا النهر هو نـهر الاردن وذهـب اليـه أكـثر المفسرين ، وهو المسمى بالشريعة فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر عن أمر نبى الله له إختبارا وإمتحانا ، أن من شرب من هذا النـهر فلا يصحابنى فى هذه الغزوة ، ولا يحصابنى إلا من لم يطعمه إلا غرفة بيده (٢)

وهذا النهى وهو الشرب من ماء النهر إذا قيس بالعقل فإن العقـل يقول أن الإنسان لا يحيى بدون الماء ، وتحريم شرب الماء مـن هـذا النهر لا مبرر له ، فعدم الشرب من ماء النهر لا مبرر له ، لكن اللذيـن تخلوا عن هذا القياس العقلى قلة قليلة وثقوا فى الله عز وجـل ، وفـى نهيه سبحانه وتعالى عن الشرب من هذا النهر فإمتثلوا لهذا النهى ، غـير مجالدين ولا معاندين ، ولذلك قال الله سبحانه { فشربوا منـه إلا قليـلا

---

(١) البقرة : ٢٤٩

(٢) ابن كثير : قصص الانبياء ، مكتبة جمهورية مصر ص٤٨١

منهم }(١) وهؤلاء القلة اللذين وضعوا ثقتهم بالله عز وجل هم اللذين تابعوا طالوت فى الجهاد لأنهم توكلوا على الله ووضعوا ثقتهم بالله عز وجل ،متخلين عن قياسهم العقلى أمام موقف إختبارى من الله عز وجل.

## الموقف السادس

نهى الله سبحانه تعالى عن الزنا فى قصة يوسف عليه السلام

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد نهى المؤمنين عن الإقتراب من الزنا فالأنبياء أولى بهذا النهى لعصمتهم المطلقة من إقتراف الذنوب قال تعالى { ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا }(٢)

وقد تعرض نبى الله يوسف عليه السلام إلى موقف إبتلائى لا يحسد عليه وهو تحرش إمرأة العزيز به بعد أن غلقت الأبواب وأخلت البيت من العيون والخدم واستعدت وتهيأت لمواقعته ، قال تعالى {وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ..}(٣) المراودة مفاعلة من راد يرود إذا جاء وهذب ، كأن المعنى ، خادعته عن نفسه ، أى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذى لا يريد أن يخرجه من يده ، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه ، وهو عبارة عن التحيل لمواقعته إياها ، { وغلقت الأبواب} وقيل أنهم كانوا سبعة (٤)

---

(١) البقرة ٢٤٩

(٢) الاسراء آيه : ٣٢

(٣) سورة يوسف أيه ٢٣

(٤) الزمخشرى : ابو القاسم جار الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ) مطبعة مصطفى البابى الحلى سنة ١٣٨٥)ج ٢ ص٣١٠

وهذا الموقف الإبتلائى يجزم العقل فيه ، أن مقدمات الخطيئة مهيئة ومؤكدة بنتيجة حتمية لا مهرب منها ، وهى الوقوع في الرزيلة والعياذ بالله ، لأن المقدمات كانت بينة واضحة وهى إمرأة ترغب في المواقعة وتتهيء بدافع الحب والرغبة الجنسية ، والمكان مهيئ وخالى من العيون ، الزمان مهيئ أيضا بإبعاد الزوج الغافل عن الزوجة الخائنة كل ذلك مقدمات عقلية تنتج وقوع خطيئة ، لكن ثقة العبد المؤمن بالله أكبر من هذه المقدمات ، ومن هذا القياس اللعين الذى ينتج خطيئة ورزيلة ، مثل الزنا ولذلك قال يوسف ( معاذ الله ) والإستغاثة بالله فى هذا الوقت بالذات مطلبة من نبى مثل يوسف عليه السلام ، بأن يلقى اليه طوق النجاة الذى ينقذه من رغبة بشرية مهلكة وهو مهما كان بشر له ميوله للجنس الآخر ، لكن بهذه الطريقة ،القذرة نهذا لا يليق بالأنبياء أو بالمؤمنين عامة ، فقد إستعاذ بالله ، مما تدعوه اليه ، وهذا إجتناب منه على أتم الوجوه وإشارة الى الى التعليل بأنه منكر هائل يجب أن يعاذ بالله تعالى للخلاص منه ، وماذاك إلا لأنه عليه السلام قد شاهده بما رآه الله تعالى من البرهان النير على ماهو عليه فى حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء(١)

وذلك من منطلق تعلق المؤمنين وبخاصة الأنبياء بطوق النجاة ، وهو الثقة بالله عز وجل ، بعيدا عن ملابسات المقدمات ، الجلية ، التى تنتج ، بالعقل نتائج ، يخشى منها لأنها أى هذه النتائج تغضب الله عز وجل وتوقع فى المهالك والأثام .

(١) أبو السعود : محمد بن محمد العمادى الحنفى ٩٨٢ هجرية تفسير أبى السعود ، مكتبة الرياض الحديثة ج٣ ص١٢٧

## الموقف السابع

نهي المؤمنين عن صيد البر دون البحر

نهى الله المؤمنين أثناء إحرامهم فى الحج أو العمرة بعدم إصطياد الطير سواء الضعيف منه أو ما دون ذلك أو الصغير أو ما دون ذلك وهذا إختبار للمؤمنين ممن يمتثل أوامر الله ونواهيه ومن يجادل ويعارض قال إبن عباس ، ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ) قال هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلى الله به عباده فى إحرامهم حتى لوشاؤا لتناولوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه وقال مجاهد ( تناله أيديكم عنى صغار الصيد وفراخة ( ورماحكم ) يعنى كباره وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية فى عمرة الحديبية فكانت الوحش والطير والصيد تخشاهم فى رحالهم لم يروا مثله قط فيما خلا فنهاهم الله عن قتله وهم محرومون ( ليعلم الله من يخافه بالغيب) يعنى أنه تعالى يبتليهم بالصيد يغشاهم فى رحالهم ، يتمكنون من أخذه بالأيدى والرماح سرا وجهرا لتظهر طاعة من يطيع منهم فى سرع أو جهره (١)

ولأن أوامر الله ونواهيه من الواجب والمفروض ألا تناقش ، لأن الثقة بالله تحمل المؤمنين على الطاعة ، التى تحميهم وترمى بهم فى رضوان الله عز وجل طبقا لقول المؤمنين سمعنا وأطعنا ، لا كما قال المغضوب عليهم سمعنا وعصينا

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ص٩٨

ثانيا • مواقف الإبتلاء المتعلقة بالشدائد

كما سبق ذكره من مواقف الإبتلاء المتعلقة بالتكاليف ، وجدنا أن تلك المواقف ، كانت تعبر عن أفعال صرفة ، يقوم به صاحب الموقف ، من منطلق ثقته بالله عز وجل ، وثباته على الإيمان العميق فيما يأمره الله أو ينهاه به أو ينهاه عنه ، وهذه المواقف كان لا يتوقع من أصحابه ذكر كلمات وألفاظ تعبر عن هذه الثقة ، لأن فعلهم لأمر الله عز وجل أوقع من قولهم أنهم سيفعلوا ، وتركهم للنهى أوقع من قولهم أن سينتهوا ، وفى كلا الحالتين فعل ، لأن أمر الله يتطلب فعل ، ونهى الله ، يتطلب نهى وترك ، وترك الفعل فعل ، والخلاصة أن أفعالهم أوقع مما لو قالوا وتلفظوا •

أما فى هذه المواقف المستأنفة المتعلقة بالشدائد فإننا سنجد أصحاب تلك المواقف يعبرون بأقوال لفظية تعبر عما بداخلهم من مكنون الثقة بالله عز وجل ، رافضين البته ، أى قياس عقلى يحاول أن يحملهم على إنقاذهم ونجاتهم من تلك الموقف العصيبة التى ينأى بحملها البشر العادى ، وفى هذه المواقف الإبتلائية المتعلقة بالشدائد نجد أن وراءها تعلقات عديدة ، فإما أن يكون الإبتلاء بالخوف بصرف النظر عن مصدر هذا الخوف إن كان من خوف الموت أو خوف العدو ، إلى جانب الإبتلاء بالجوع ، ونحن نعلم أن الجوع والخوف من الغرائز البشرية التى تحمل الإنسان على التعلق بالحياة ، وكلا الإثنين لا يؤمنهما

إلا الله قال تعالى { الذى أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف من خوف }(١)

وأيضا الإبتلاء يكون فى الشدائد بنقص من الأموال والأنفس والثمرات ، إما بالكوارث أو بالأمراض ، أو ماشابه ذلك وقد حدد الله سبحانه وتعالى ذلك من خلال قوله تعالى ،{ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين }(٢) ومن خلال ذكر ألفاظ هذه الآية الكريمة ، سوف أذكر بعض المواقف الإبتلائية المتعلقة بالخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، مبينين أن أصحاب تلك المواقف تعلقت أنفسهم بالثقة بالله عز وجل ، لا بالقياس العقلى الذى لو تعلقوا به لما كان لمواقفهم قيمة يقتدى بها ، ويتعلم منها الآخرين ، وسقطوا والعياذ بالله فى هذا الإختبار الربانى ٠

(١) سورة قريش: ٤

(٢) البقرة آية ١٥٥

## أولا الموقف الأول

الابتلاء بالخوف من الموت بالإحتراق

إبتلى خليل الله إبراهيم عليه السلام بقذفه فى النار بعد أن حكم من قومه ، وقام هو بتحطيم أصنامهم ومجادلتهم ، فتوصل به الحال الى هذا الموقف العصيب ، ووضع إبراهيم عليه السلام أمام عنصر من عناصر الكون ،وهو النار التى لها خاصية الإحراق لجميع المواد القابلة للإشتعال ، وجسد إبراهيم عليه السلام جسد بشر قابل للاشتعال مثله مثل غيره ممن حرق قبل ذلك ، والعقل يقول أن وضع إبراهيم عليه السلام ، فى هذه النار التى بالمواصفات التى وردت فى كتب التراث ، والتى أوقدوها فترة زمنية طويلة لدرجة أن الطير كان يمشى مسافات بعيدة من طيره ، هذه النار لابد وأن تحرق وتفنى جسد إبراهيم عليه السلام وعقل إبراهيم عليه السلام الذى جادل قومه مرتين أثناء وقوفه أمام النجوم والقمر والشمس ، ، وأيضا وقوفه أمام أصنامهم ، وحاجهم ، وأفحمهم ، فضلا ، عن محاجته ، للنمرود ، كذلك كان بهذا العقل وبأقيسته المنطقية ، فهل يتخلى إبراهيم عليه السلام عن الإستعانة بهذا العقل ، ويطلب بهذا العقل الغوث ، بالله عز وجل وبجنوده ، حتى ينقذوه من أمر يحكم العقل فيه ، أنه هالك ولا محالة ، ولكن إبراهيم عليه السلام فى هذا الموقف الإبتلائى ، يعلم ويجزم ، أن هذا العقل لن ينقذه ولكن الذى يستنقذه هو ثقته بالله عز وجل وإحتسابه لأمر الله وهو الذى سبحانه وتعالى ، سيدبر ، نجاته ، وهذا ما

تم بالفعل لم يستعن إبراهيم عليه السلام بأي مخلوق مهما عرض عليه العون والمساعدة بل توجه لربه وربهم فقال ، لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ولك الملك ، لاشريك لك ، فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقديا مكتوفا ثم ألقوه منه الى النار قال حسبنا الله ونعم الوكيل ، كما روى البخاري عن إبن عباس أنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم حين ألقى في النار ، وقالها محمد حين قيل له ، أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فإنقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، وقال أبو يعلى ، حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا إسحاق عن سليمان ، عن أبي جعفر الرازي عن عاصم ابن أبي النجود ، عن أبي صالح أبي هريرة قال ، قال ﷺ لما ألقى إبراهيم في النار قال : اللهم إنك في السماء واحد ، وأنا في الأرض واحد أعبدك ،

وذكر بعض السلف أن جبريل عرض له في الهواء فقال : يا إبراهيم ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، ويروى عن عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنه قال ، جعل ملك المطر يقول متى أومر فأرسل المطر ؟[1] وأن جبريل عليه السلام قال له فاسئل ربك فقال إبراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي حسبي الله ونعم الوكيل[2]

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ص١٣٩

(٢) النيسابوري ، قصص الأنبياء ص٦٧

فكان أمر الله أسرع . " قلنا يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم )[١]
فنجا إبراهيم عليه السلام بقوله حسبى الله ونعم الوكيل ثقة بالله عز وجل لا فى غيره ، مهما كان هذا الغير ، سواء ملك المياه فقال له أن أردت أخمدت النار فإن خزائن المياه والأمطار بيدى ، وأتاه خازن الريح لإبراهيم عليه السلام شئت طيرت النار فى الهواء فقال إبراهيم عليه السلام لا حاجة لى اليكم [٢]

فسبحان الله فى موقف الخليل هذا اى ثقة وأى إيمان جعله ، يتصرف هكذا ، وتخليه عن العقل وأقيسته المنطقية ، فى الإستعانة بالمخلوقات التى تعرض عليه ، المساعد، إن هذا الموقف يحتاج الى وقفات تأملية ، منا أمامه لكى نعلم ونستفيد .

الموقف الثانى

الإبتلاء بالخوف من الموت بالذبح

تعرض أيضا نبى الله إسماعيل ، إبن إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ، تعرض الى موقف إبتلائى بالذبح ، عندما أومر الخليل بذبح إبنه إسماعيل عليه السلام فأخبر الخليل إبنه بذلك ، وكان المتوقع بالعقل وبالمنطق ، أن يأبى الولد ، ويرفض هذا الأمر الغريب ، فضلا عن إتهام أبيه بخرف كبر السن والعياذ بالله ، لكن الولد والوالد كلاهما ، قد وضعا

(١) الانبياء أيه ٦٩

(٢) النيسابورى ، قصص الأنبياء ص٦٧

تقهم بالله عز وجل ، ولم يبق إلا أن نسمع ما يقوله ، إسماعيل عليه السلام من وقوع خبر الذبح على أذنيه فقال " يا أبت إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين }[1] لأن الصابرين على ربهم يتوكلون { الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون }[2] وإسماعيل عليه السلام من المتوكلين المؤمنين بالله وهذا من باب التقوى قال تعالى{ واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون }[3]

فكلمات إسماعيل هذه تدل على توفيق من الله كبير ، وإيمان وثيق ونفس راضية بما قضى الله وأمر به وقدر ، وهنا تبدو عظمة التضحية والطاعة والاستسلام في المواقف المتأزمة ، التي بها شدة لا يقوى على حملها إلا الواثقين بالله عز وجل ، إنها العبودية الحقة لله ، ونجد إن إسماعيل عليه السلام لم يقل : يا أبتى أفعل ما أمرتني به ؛لأنه يعلم أن الأمر ليس من أبيه ، بل الأمر من رب العالمين ، ولذلك قال ، "يا أبت إفعل ما تؤمر "ثقة فى أمر الله عز وجل ، مستبعدا لقياس العقل من أن حياته ستزهق ، بيده أبيه ، الممسكة بالسكين والتى ستنزل على رقبته ، لتزهق روحه ، لكن الاستسلام لله وأمره ينقذ العبد المؤمن قال تعالى {فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا

(١) سورة الصافات ، اية رقم ١٠٢

(٢) سورة النحل أيه ٤٢

(٣) سورة المائدة أية ١١

إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم }[1]

كان الإبتلاء قد تم ، والإمتحان قد وقع ، ونتائجه قد ظهرت وغاياته قد تحققت ولم يعد إلا الألم البدني ، وإلا الدم المسفوح ، والجسد الذبيح ، والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء ، ولا يريد دماءهم وأجسادهم في شيء ، ومتى خلصوا له وإستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا وقد حققوا التكليف ، وقد جازوا الإمتحان بنجاح[2] وهذه هي منتهى الثقة بالله والتوكل عليه والاستسلام لوجهه الكريم ، مهما كان هذا الموقف به شدة وتأزم ،

(١) الصافات ، آيه ١٠٢-١٠٧

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن الكريم ، ج٢٣ ص٢٩٩٦

## الموقف الثالث

الإبتــلاء بـــالخوف مـــن المـــوت بـــالغرق وبـــالحوت

أبتلي نبى الله يونس عليه السلام بإبتلاء عظيم بعد أن هرب من قومه وضاق بهم ذرعا فذهب الى الفلك المشحون المملوء بالركان فهناك كان الإبتــلاء بالغرق ، أولا ثم بالحوت والمكوث فى بطنه ثانيا ، قـــال تعـــالى { وإن يونس لمن المرسلين ،إذ أبق إلى الفلك المشحون ، فساهم فكـــان مـــن المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو مليم }(١)

قال البيضاوى : إذ أبق ، هرب ، وأصله الهرب من السيد ، لكـــن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه ، حسن إطلاقه عليه ( الى الفلـــك المملوء فقارع أهله فصار من المغلوبين بالقرعة(٢) فألقى فى البحر فلتقمه الحوت ، فلبس فى جوفه فترة من الزمن ، ومنطقيا لا يستطيع عـــاقل أن يقول أن يونس عليه السلام سينجو من البحر أو من الحوت ، فإما بـــالغرق أو بالهضم سيموت ، هذا هو قول العقل فى هذا الموقف ، وما يقاس علـــى غيره مما لو حدث له ذلك ، لكن الثقة بالله إذا وجدت لكان للموقف وجها آخر وهذا ما حدث بالفعل ، من أن يونس عليه السلام تعلقت روحه بالثقة بالله عز وجل والتوكل عليه ، فكان يقول رغم ظلمة البحر وظلمـــة الحـــوت

---

(١) سورة الصافات آيه ١٣٩-١٤٨

(٢) البيضاوى : أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن على : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، طبعة مصطفى البابى الحلبي ، سنة ١٣٨٨ جـ٢ ص٢٩٩

وظلمة الليل ، ( لا إله إلا إنت سبحانك إنى كنت من الظالمين )[1] ثقة بالله وتوكلا عليه بأن يعفوا عنه ويغفر له وينقذه مما فيه فقال مقولته ومعناها " أنزهك ربى تنزيها لائقا بك من أن يعجزك شيء ، أو أن يكون إبتلائى بهذا بغير سبب من جهتى ( إنى كنت من الظالمين ) لأنفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة من غير أمر على خلاف معتاد الأنبياء عليهم السلام ، ( فاستجبنا له ) أى دعاءه الذى دعاه فى ضمن الاعتراف بالذنب على ألطف وجه وأحسنه ( ونجيناه من الغم ) بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد أربع ساعات ،كان فيها فى بطنه ، وقيل بعد ثلاثة أيام ، وقيل الغم غم الالتقام ، وقيل الخطيئة )[2]

والشاهد هو أن يونس عليه السلام تعلقت نفسه بالثقة بالله عز تجل فتوكل عليه سبحانه وتعالى ،لاغيا اى قياس عقلى يحمله على انه هالك بالظروف التى هو فيها ورغم ما هو فيه نادى ربه مسبحا وموحدا له سبحانه وتعالى ومعترفا بظلمه لنفسه فأنقذ بهذه الثقة قال تعالى {فلولا أنه كان من المسبحين ، للبث فى بطنه الى يوم يبعثون }[3]

---

(١) سورة الانبياء : أيه ٨٧

(٢) أبو السعود : محمد بن محمد العمادى الحنفى ، تفسير أبى السعود ، إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، مكتبة الرياض الحديثة ج٣ ص٧٣٢

(٣) الصافات : ١٤٣

## الموقف الرابع

الإبتلاء بالخوف من الأعداء للكليم عليه السلام

إبتلى كليم الله موسى عليه السلام هو وقومه فى موقف عصيب ، حيث انحصروا بين فكين كلاهما مهلك ، البحر أمامهم والأعداء من فرعون وجنوده خلفهم ، ،حتى جزم عقل أتباع كليم الله موسى عليه السلام وهم اليهود من أنهم مدركون ، وأن أعداؤهم سيلحقون بهم ، ويفتكون بهم ، وهم جيش قوى ، وهم ثلة ضعيفة رالعقل الذى جزموا به معه حق ، لأنه لا مناص من النجاة فى هذا الوقت ، إذا قسنا بالعقل ومنطقه ، لأن العقل يضع احتمالات إما مهلكة وإما مستحيلة ، ومنها ، الفرار هل يكون فى البحر ؟ والبحر مغرق ، أو أنهم سينجون بطيرانهم فى الهواء ؟ وهذا أمر مستحيل ، أو أن مهربهم وملاذهم إنشقاق الأرض بهم فى سرداب آمن ؟ وهذا أيضا مستبعد ، لإستحالته ؟ وإما أن يتراجعوا ويواجهوا عدوهم وتكون لهم الغلبة عليهم ، وهذا أيضا يستبعده العقل لأنه لا تكافئ فى قوى الفريقين ، هذا هو منطق رقياس وعقل أتباع موسى عليه السلام أما هو كليم الله فلديه الثقة الكافية بالله التى تستبعد كل وجوه ، قياس العقل ، وتوقعاته ، مثل ما ذهب اليه قومه ، لأنه نادى بكل فاهه والثقة تملأه والسكينة لا تحرك يأسه قدر أنملة فقال" إن معى ربى سيهدين "

{ فأتبعوهم مشرقين ، فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ، قال كلا إن معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن أضرب

بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجميعن ثم أغرقنا الآخرين ، إن فى ذلك لآية وما أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم }[1] . وتراءى الجمعان وتقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه ، ولما عاين اليهود ذلهم بين فكى عدوهم ، بلغ كربهم مداه ، ولكن موسى الذى تلقى الوحى من ربه ، لايشك لحظة وملأ قلبه الثقة بربه ، واليقين بعونه ، والتأكد من النجاة ، وأن كان لايدرى كيف يكون ، فهى لابد كائنة ، والله هو الذى يوجهه ويرعاه { قال كلا إن معى ربى سيهدين }كلا لن نكون ضائعين { كلا إن معى ربى سيهدين } بهذا الجزم والتأكيد واليقين ، وفى اللحظة الأخيرة ينبثق الشعاع المنير فى ليل اليأس والكرب ، وينفتح طريق النجاة من حيث لا يحتسبون { فأوحينا الى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم }[2]

---

(١) الشعراء ٦٠ -٦٨

(٢) سيد قطب ، فى ظلال القرآن الكريم ج٥ ص٢٥٩٩

## الموقف الخامس

### الإبتلاء بالخوف من الجبابرة

إبتلى بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر بأن ينطلقوا بدخول الأرض المقدسة فعلموا أن فيها قوما جبارين من الحيثانيين والكنعانيين والفزاريين فأمرهم كليم الله موسى عليه السلام بأن يدخلوا الأرض المقدسة ويطهروها من هؤلاء فأبوا ونكلوا عن الجهاد ، بعد أن قاسوا بعقولهم أن هؤلاء أقوى منهم وأنهم قوما جبارين ، ولم يضعوا ثقتهم بالله عز وجل وفي رسوله سوى إثنين فقط ، توكلوا على الله وخافوه سبحانه وتعالى ، قال تعالى { قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين }[١]

* هنا تبرز قيمة الإيمان بالله والخوف منه ، فهذان رجلان من الذين يخافون الله ينشئ لهما الخوف من الله إستهانة بالجبارين ، ويرزقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم ، وهذان هما يشهدان بقولتهم هذه بقيمة الإيمان في ساعة الشدة ، وقيمة الخوف من الله في مواطن الخوف من الناس ، فالله سبحانه لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين ،مخافته جل جلاله ، ومخافة الناس ، والذي يخاف الله لا يخاف أحدا بعده ، ولا يخاف شيئا سواه[٢] لأن الثقة بالله عز وجل تحمل العبد على تحديات كثيرة ، هي أكبر منه وأعظم منه ، لو قاسهما بالعقل لما تقدم قدر أنملة

---

(١) المائدة ٢٣

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن ج٦ ص٨٧٠

فهذان أسلما وجهيهما لله عز وجل وقد واضعا ثقتهما بالله مخالفين مقولة غيرهما أن الأرض بها قوما جبارين ، لأن الإيمان ملأ قلبيهما ولذلك شهدوا ونصحوا غيرهما بمقولتهما هذه ، متجاهلين العقل وأقيسته المنطقية أمام هذا الإبتلاء الربانى .

## الموقف السادس

### الإبتلاء بالخوف من محاربة الكثرة

لما فصل طالوت وجنوده من بيت المقدس ، إتجه لمحاربة العمالقة وكانوا كثرة وهم قلة ، وهذه القلة ، لم يبقوا معه بأكملهم ، بل بقى معه من وضع ثقته بالله ولم يشرب من ماء النهر ، ولم يطعمه إلا غرفة بيده وكانت المواجه بين الفريقين العماليق الكثرة ، وهؤلاء القلة المؤمنة ،وهنا تحكم العقل عند البعض بالموازنة بين الفرقين ، لدرجة أنهم تخاذلوا من الكثيرة وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، لكن البعض الآخر الذين وضعوا ثقتهم بالله متحدين العقل وقياسه المهلك فى هذا الموقف الإبتلائى ، بأن كثير من القلة غلبت الكثرة بإذن الله ومشيئته وبالتوكل عليه ،فلما يعبأوا بالكثرة ، بذلك قال تعالى{ فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ، ولما برزوا لجالت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين ، فهزموهم بإذن الله.....................}(١)

(١) سورة البقرة ، آيه -٢٤٩-٢٥١

قال الشيخ المرغى " قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ) أى قال الذين يستيقنون بلقاء ربهم بالبعث ، ويتوقعون ما عنده من الجزاء والثواب إن كثيرا ما رأينا الجماعات القليلة غلبت الجماعات الكثيرة حين يكتب الله لهم التوفيق والنصر بمشيئته وقدرته ، والله لا يذل من نصره وإن قل عدده ، ولا يعز من خذله وإن كثرت آلاته وعدده (١)

وبدا من ذلك أن الذين وضعوا ثقتهم بالله عز وجل هم الذين إنتصروا على الكثرة بهذه الثقة ولم يخذلهم الله فيه بل نصرهم ، وحتى ولولم ينتصروا فإن هؤلاء كانوا ينتظرون الشهادة فى سبيل الله ، وهذه وتلك ، كانوا يطمعون فى إحدى الحسنيين ، لكنهم لو قاسوا بعقولهم عددهم وعدد أعدائهم لما قدموا وتقدموا وحاربوا وانتصروا او استشهدوا لأن هذه المواقف الإبتلائية يجب أن يرجح فيها كفة الثقة بالله عز وجل خصوصا إذا كان هذا القتال أمرا من الله وإبتلاءا وإختبارا لعباده حتى يظهر المؤمن من المتخاذل المدعى ، قال البخارى بسنده عن البراء بن عازب قال " كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلاثمائة مؤمن(٢)

---

(١) المراغى : أحمد مصطفى المراغى ، تفسير المراغى ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩٤ج٢ ص٢٢٣

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٧ ص٢٩٠

## الموقف السابع

الابتــلاء بــالخوف مــن كشــف أمــر المؤمنيـــــن للأعـــداء فى الغار كان الإبتلاء العظيم ، حيث النبى ﷺ وصاحبه ابــو بكــر رضي الله عنه فكان الاختبار ، فى الثبات والثقة وعدم الخوف ، من ان يكشف أمرهمـــا للكافرين، الواقفين بباب الغار ، لدرجة أنه لو نظر أحدهما تحت قدميـــه لرآهما ، وكان أبو بكر رضي الله عنه يحزن فقط من كشف أمرهما لا خوفا علـــى نفسه ولكن خوفا على كشف أمر النبى ﷺ للكافرين ، لأنـــه لـــو هلـــك لهلكت الأمة ،{ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثـــانى أثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فـــأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم }(١)

---

فقد ضل الكفار عن مغنمهم بإتباعهم العقل ، وإتباعهم مقدماته التى هى أثار النبى ﷺ وصاحبه ، ورغم ذلك وقفوا أمـــام الغـــار مضليـــن بمعجزات لا يدركها العقل ، لأن المتحكم فى هـــذا الموقـــف هـــو رب العالمين ، فيثبت من يشاء ، ويضل من يشاء ، ولذلك رجعوا مخذوليـن ، بقياسهم العقلى ان هذا العنكبوت وهذا الطير بقاءهما هنا على فوهة الغار بزمن يسبق زمن مجىء محمد ﷺ وصاحبه وهكـــذا ضلـــوا وخذلـــوا فرجعوا ،

---

(١) سورة التوبة أيه ٤٠

قال صاحب الرحيق : لما أنتهيا الى الغار جدت الفرسان والمشاة وقصاص الأثر فى الطلب ، وإنتشروا فى الجبال والوديان والوهاد والهضاب ، لكن دون جدوى وبغير فائدة ٠ وقد وصل المطاردون الى باب الغار ، ولكن الله غالب على أمره ، روى البخارى عن أنس عن أبى بكر قال ، كنت مع النبى ﷺ فى الغار ، فرفعت رأسى فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت : يانبى الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا ، قال " اسكت يا أبا بكر ، أثنان الله ثالثهما وروى الامام أحمد بسننه قال أبو بكرى للنبى ﷺ وهو فى الغار ، لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا ، فقال " ياأبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما "ولم يكن فزع أبى بكر مخافة على نفسه ، بل سببه الواحدي ما ورى أن أبا بكر لما رأى القافة إشتد حزنه على رسول الله ﷺ وقال ، أن قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد ، وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، فعندها قال له رسول الله ﷺ " لا تحزن إن الله معنا " ٠ (١)

ونلاحظ أن لفظ الجلالة قدمه النبى ﷺ على لفظ المعية ( إن الله معنا ) وهذا وإن دل فإنه يدل على عمق الثقة بالله عز وجل والتوكل عليه سبحانه فى هذا الموقف العصيب الشديد البأس الذى ينبض فيه القلب إضطرابا ، وتتشد الأعصاب لو لم يكن هناك ثبات وثقة ، ولو تدخل العقل بأقيسته المنطقية فى هذا الموقف لكان هناك شأنا آخر على

---

(١) صفى الرحمن الباركفورى : الرحيق المختوم ، دار الوفاء ، ص١٨٧ سنة ١٩٩٩

الأقل لو حدث ذلك لأى إنسان عادى ، فعلى الأقل لمات بالسكتة القلبية أوشلت أعضاء جسمه فضلا على كله ، لكن الأمر هذا فوق العقل وفوق المنطق إنها الثقة بالله والتوكل عليه والثبات والسكينة .

## الموقف الثامن

## الإبتلاء بالجوع

فى هذا الموقف الإبتلائى الخاص بإختبار الله لأحد عباده بالجوع نجد أن صاحب الموقف هذا ليس نبيا رسولا ، بل شخصية عادية ، ليس لها توام التحمل للمهمات الصعبة ، سوى الإيمان الذى يملأ القلب والثقة التى تغمر النفس ، والتوكل على الله رب العالمين ، والشخصية التى نحن بصددها الآن شخصية إمرأة وليس شخصية رجل ، ومقومات شخصية المرأة كما هو معروف ليست كمقومات شخصية الرجل ، لأن المرأة ضعيفة بطبعها ، وشخصية مثل شخصية هاجر زوج إبراهيم عليه السلام وأم إسماعيل عليه السلام لابد وأن تكون مؤهلة لتحمل المهمات الصعبة

وهاهى توضع فى موقف إبتلائى من قبل الله عز وجل بوضعها وتركها فى صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء ، سوى زادها الذى سينفد بعد فترة زمنية وإن طالت ، وشبح الجوع يهددها هى ورضيعها فضلا عن الخوف المنبعث من طبيعة المكان ، ولو قاست هاجر ، موقفها هذا بالعقل وبطبيعة البشر وبخاصة طبيعة المرأة لوجدناها تجرى وراء زوجها الخليل ، وتأبى أن تنفذ أمره وأمر ربه ، لأنها بشر له مقومات

الدفاع عن تواجده في هذه الحياة ، لكننا لم نجد صراخا ولا إباءا ولا عصيانا ، من الزوجة المؤمنة ، بدين زوجها وبرب العالمين ، والتي وثقت في أنه سبحانه لن يضيعها هي ولا رضيعها ،

قال ابن كثير " ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل ، فقالت ، يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم قالت : إذن لا يضيعنا ثم رجعت ."[1] ثقة بالله وتوكلا عليه ، وبالفعل بعد أن نفذ طعامها وشرابها ، راحت تسعى ، بين جبلين الصفا والمروة تتطلع الى من يغيثها ، هي ورضيعها ، آخذه بالأسباب ثم الفرج العظيم من تفجر عين ماء زمزم ، جائزة عظيمة لتحمل هذه المرأة لهذا الإختبار الرباني ، ولثقتها العميقة في رب العالمين أنه لن يخذلها ، ولن يضيعها كما شهدت بذلك بكلماتها التي وصلت الى أذن زوجها الخليل ،عليه السلام

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ١٥٤

## الموقف التاسع

## الإبتلاء بنقص من الأنفس

فهى هذا الموقف الإبتلائى وكان لنبى الله يعقوب عليه السلام نجد أن الله قد إبتلاه وإختبره بضياع بعض أولاده واحدا بعد الآخر ، يوسف عليه السلام ثم بنيامين ، الى جانب فقده لبصره ، ورغم هذا الإبتلاء يؤكد لباقى أولاده الذين وثقوا أن يوسف قد هلك بالفعل ، يؤكد لهم عليه السلام أن الواثق بالله عز وجل ليس كاليائس من رحمة الله عز وجل ، لأن من ييأس من رحمة الله يكن من الكافرين ، لكن عقل أبناءه يقيس بمنطق العقل ، أنه لا محالة ، من رجوع ، أخيهم يوسف عليه السلام، وايضا إستبعده بالعقل رجوع أخيه ويتهمون أبيهم ، أنه لا يزال فى ضلاله القديم ويقسمون على ذلك ، قال تعالى {يابنى إذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تايئسوا من روح الله إنه لا يايئس من روح الله إلا القوم الكافرون}(١) وقال تعالى { ولما فصلت العير قال أبوهم إنى لا أجد ريح يوسف لولا أن تفندون ، قالوا تالله أنك لفى ضلالك القديم }(٢) وعلى أثر فقده لولديه فقد بصره ، قال تعالى { وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم}(٣) "قيل أنه لم يبصر بهما ست سنين ، وأنه أعمى قال مقاتل ، وقيل قد تبيض العين ويبقى شىء

(١) يوسف أيه ٨٧

(٢) يوسف ، أيه ٩٤-٩٥

(٣) يوسف أيه ٨٤

من الرؤية والله أعلم بحال يعقوب ، وإنما أصيبت عيناه من البكاء ، ولكن سبب البكاء الحزن ، فلهذا قال " من الحزن " وفي سبب إبتلائه بالعمى روى أنه قيل أنه يايعقوب : ما الذي أذهب بصرك ، وقوس ظهرك ؟ قال أذهب بصري بكائي على يوسف ، وقوس ظهري حزني على أخيه ، فأوحى الله إليه ، أتشكوني ، وعزتي لا أكشف ما بك حتى تدعوني ، فعند ذلك قال { أشكو بثي وحزني الى الله } فأوحى الله إليه ، وعزتي لو كانا ميتين لأخرجتهما لك ، وإنما وجدت عليكم ، غضبت لأنكم ذبحتم شاة فقام يسألكم مسكين فلم تطعموه منها شيئا ، وإن أحب خلقي الى الأنبياء ثم المساكين ، فاصنع طعاما وأدع إليه المساكين فصنع طعاما ثم قال : من كان صائما فليفطر عند آل يعقوب(١)

هذه أن ثقة يعقوب عليه السلام في ربه هي التي جعلته يعطي الأمل لنفسه ولأولاده أن كل ما سلب منه وضاع سوف يعود ، بديل كلماته إذهبوا فتحسسوا ، وقوله : {لا تيأسوا من روح الله } وقارن بين اليأس والكفر ، وحتى بعد المكان جعله لا يستبعد وجود يوسف وأخيه ولا عودة بصره ، بدليل أن البشير الذي سبق مجيء أولاده جاء بالقميص الذي فيه رائحة ابنه المفقود ، فألقاه على وجه فارتد بصيرا ، فكان من حوله يقيس

(١) السيوطي ، جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور في التفسير المأثور ، ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٩٨٧ ج٤ ص٣٢

وانظر تخريجه من كتاب إسحاق بن راهويه في تفسيره ، وابن أبي الدنيا في كتاب الفرج بعد الشدة وابن أبي حاتم في الأوسط.

بعقله أن تلك المفقودات من الأولاد والبصر لن يعودوا ، لكن الثقة ترجح كفتها على العقل وأقيسته الذى له مقدمات عند أصحابها ، والنتائج تأتى مخالفة تماما لتلك المقدمات ، فوضع يوسف فى البئر وأخذ الملك بينامين ، بتهمة السرقة ، وضياع عين الأب ، هذه مقدمات عقلية تنتج مقدمات يجزم فيها العقل بإستحالة أو إستبعاد عودة ، ولديه والبصر ، لكن الثقة بالله والتوكل عليه جعلت نبى الله يعقوب عليه السلام يستبعد عقلانية أولاده الذين تسببوا فى ضياع يوسف وأخيه وبصره.فوضع ثقته بالله عز وجل فلم يخذله الله نعادو جميعا .

## الموقف العاشر

الإبتلاء بنقص الاموال و الأنفس والثمرات لنبي الله أيوب عليه السلام

يبتلى الله نبيه أيوب عليه السلام بفقده لصحته وأولاده وماله ، بعد أن من الله عليه بشكر النعمة حيث أعطى مالا كثيرا وعافية في بدنه وأولاد ، وضيعة وفيرة الثمار ، فأراد الله ان يختبره بالصبر بعد الشكر ، فسلب منه كل ذلك واشتد بلاء أيوب عدة سنين ، وتخلى كل من حوله عنه ، محكمين عقولهم في أن هذا الرجل المبتلى في جسده وماله وأهله لن تقوم له قائمة ، لأنه لا أمل في شفائه وبالتالي لا أمل في أن يعيد ما سلب منه من مال و أولاد ، لكن ثقة أيوب عليه السلام بالله عز وجل اكبر من كل قياس عقلي ، ولذلك لجأ الى رب العالمين ، قائلا "{.وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين }(١)

وقال السدي : تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب ، فكانت أمرأته تأتيه بالرمار تفرشه تحته فلما طال عليها ، قال يا أيوب ، لودعوت ربك لفرج عنك ، فقال : قد عشت سبعين سنة صحيحا ، فهل قليل لله أن أصبر له سبعين سنة ؟ فجزعت من هذا الكلام ، وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم أيوب عليه السلام

---

(١) الانبياء : ٨٤

ثم أن الناس لم يكونوا يستخدمونها ، لعلمهم أنها أمرأة أيوب ، خوفا أن ينالهم من بلائه أو تعديهم بمخالطته ، فلما لم تجد أحد يستخدمها عمدت فباعت لبعض بنات الأشراف أحدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير فأتت به أيوب ، فقال : من أين لك هذا ؟ وأنكره فقال : خدمت به أناسا فلما كان الغد لم تجد احدا فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأتته به ، فأنكره وخلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام ؟ فكشفت عن رأسها خمارها ، فلما رأى رأسها محلوقا قال فى دعائه ، يارب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين(١)

فدعانه لله عز وجل ، رد عليه جسده ، وماله وأولاده وهذا كله بثقته بالله وتوكله عليه ، لا بقياسه العقلى من أن طول فترة إبتلائه تجعله ييأس ويمل ما هو فيه حتى ولو كان من حوله يحمله على ذلك من طلب الشفاء بعد أن عرض الشيطان لزوجه على دواء له فأخبرت زوجها بذلك ، فعلم أن هذا من نصح الشيطان ، أو بالكلمات التى تلفظ بها أقرب المقربين اليه وهما رجلان من أقربائه حيث قالا لو كان الله علم من أيوب خيرا ما إبتلاه بهذا . فجزع أيوب من قولهما جزعا لم يجزع مثله من شىء ولكنه لم يعبأ بهما ، ولجأ الى الله واثقا فيه ومتوكلا عليه ، ففرج الله عليه كربه " وألبسه الله حلة من الجنة فتنحى أيوب وجلس فى ناحية ، فجاءت أمرأته فلم تعرفه ، فقالت يا عبد الله ، اين ذهب هذا المبتلى الذى كان

(١) قصص الانبياء : ص٢٦٩

هاهنا ؟ لعل الكلاب ذهبت به او الذئاب ، وجعلت تكلمه ساعة ، فقال ، ويحك أنا أيوب ، قالت أتسخر مني يا عبد الله ؟ فقال ويحك أنا أيوب قد رد علي جسدي وقال إبن عباس : ورد عليه ماله وولده باعيانهم و مثلهم معهم[١] وصدق الله في قوله أنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب • [٢]

(١) المرجع السابق :ص٢٧٣

(٢) سورة ص ٤٤

**ثالثا : مواقف الإبتلاء المتعلقة بالخوارق**

فى هذا النوع من المواقف الإبتلائية ، يكون صاحب الموقف أمام حدث يفوق موازين العقل ، وأيضا هذا الحدث يخالف موازين ، النواميس الطبيعية التى تعارف عليها الناس ، وإعتادوا سريانها فى أمر الرتيب ، لم يتوقعوا ، خرقه ،اللهم أن كان هذا الخرق ، سيحدث ، على يدى نبى من أنبياء الله ، ففى هذه الحالة يسمى هذا الأمر معجز أو معجزة ، وسوف نذكر مثالين خاصين بهذا النوع كى نوضح مدى ثقة أصحاب تلك المواقف بالله عز وجل ،ومدى إستبعادهم لقياس ذلك على مقاييس العقل ومنطقة .

## الموقف الأول

## إبتلاء سليمان عليه السلام بمجيء العرش

الإختبار يكون بالشر والخير من قبل الله عز وجل لعباده ، الذين يبدون له سبحانه وتعالى مدى صبرهم ، ومدى شكرهم ، أمام أى موقف إبتلائى ، قال تعالى {ونبلوكم بالشر والخير فتنة}[1] وقد إبتلى سليمان عليه السلام بأمر خارق وهو الإتيان بعرش ملكة سبأ بلقيس من بلاد اليمن بالجنوب ، إلي مستقرة بأرض فلسطين بجوار المسجد الأقصى ، وحدث ذلك أمامه ، بمعاونة أحد أعوانه حيث أتى به فى فترة زمنية وجيزة ، وأى إنسان يحدث أمامه هذا الحدث يكون موقفه إما النكران لما يحدث

(١) سورة الأنبياء آية ٣٥

أمامه ، أو الإغترار بما حدث بالفعل ، أو أنه يكون له ثقة بالله عز وجل أن ذلك يحدث أمامه بقدرة الله المطلقة ومشيئة العالية وأن ما حدث بالفعل فوق مقاييس العقل ومنطقة ، وهذا ما حدث من سليمان عليه السلام بالفعل ، حيث شكر ربه أمام هذا الأمر العظيم والحدث الجلل ، قال تعالى {قال يا أيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي امين ، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا ءاتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رءاه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم }(١)

قال الشيخ النجار : لما علم سليمان بإعتزام ملكة سبأ على زيارته في عاصمة ملكه ، شيد لها صرحا عظيما ، ومرد أرضه بالزجاج ، وهذا شيء لا عهد لأهل اليمن بمثله . ولما قربت من ديار سليمان أراد أن يظهر لها من دلائل عظمته ونعم الله تعالى عليه ما يبهرها وأن ترى بعينها ما لم ترها الأحلام بفعل عجيبة ظاهرة وهي أن يأتيها بعرشها الجميل ليكون جلوسها عليه في ذلك الصرح - فسأل جنوده عن قوي يأتيه بذلك العرش ، فأنتدب له عفريت من الجن وقال له أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك هذا وإني عليه لقوي أمين على ما

(١) سورة النمل : آية ٣٨-٤٠

فيه من الجوهر والحلى – وقال شخص من الإنس والجن عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكان الأمر كما قال • فجاء ووضع فى الصرح الذى هيء لها لإستقبالها(١) فإستقبل سليمان عليه السلام هذا الحدث العظيم ، بالشكر والإمتنان لله عز وجل ، أن هيء له بأن يتم على يديه تلك الخوارق التى تفوق تصورها حدود العقل ، ولتكون بيانا للمشركين ، عباد الشمس ، من أن إله سليمان قادر على كل شيء وأنه سبحانه أهل لثقة عباده فيه، بأنه سبحانه يجرى الخوارق التى تفوق مستواها تصور العقل وقياسه ومنطقه

## الموقف الثانى

### الإبتلاء بحدث الإسراء والمعراج

وإبتلى اهل مكة بخبر الإسراء والمعراج ، بعد أن سمعوا ذلك من النبى ﷺ وهو يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى قد اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثم عرج به الى السموات العلى ، واهداه بفريضة الصلاة ، فإستقبل الناس هذا الحدث بشيء من الدهشة وانكره من أنكر ، وصدقه من صدق ، وكان هذا إختبارا للمؤمنين على ثباتهم على رضاهم بالإسلام دينا ، وما يتجدد فيه من اخبار تفوق العقل ، اما من أنكر فقد قاس ذلك بعقله واقيسته المنطقية ، من أن محمدا ﷺ كيف يتأتى به الأمر بأن يحدث له ذلك فى فترة زمنية وجيزة، وهم يذهبون

(١) عبد الوهاب النجار ، ص٣٩٦

الى هذا المكان حيث بيت المقدس ، فى مسيرة شهر ذهاب وشهر إياب ، فقاسوا بعقولهم هذا الأمر الخارق لكن من وضع ثقته بالله صدق هذا الأمر ، وكان له مقياسه الخاص به الذى ساعده فى تقبل ، حادث الإسراء ، حيث أن من صدق محمدﷺ وآمن به فإنه يجزم ان هناك إتصال من فوق السماء السابعة بمكانه فى مكة فى جزء من الساعة ، والذى يعتقد فى هذا يعتقد فى ذاك ، لكن هذا القياس العقلى رتب بعد تقدم الثقة بالله وفى رسول الله ﷺ فيما أخبر بما قال ، والذى وضع هذه الثقة بالله وفى رسوله ﷺ هو أبو بكرﷺ ذكر إبن هشام فى سيرته : أن الناس ذهبوا الى أبى بكر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر فى صاحب يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة قال : فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه ؛ فقالوا بلى ها هو ذاك فى المسجد يحدث به الناس ، فقال ابو بكر ، والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؛ فو الله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأيته من الله من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه(١)

فتغلبت الثقة بالله وتقدمت على اقيستهم العقلية ، التى حملتهم على التكذيب والاستهجان من خبر حديث الإسراء الذى اخبرهم به الصادق الأمين ﷺ

---

(١) ابن هشام : السرة النبوية : بدون دار طبع ج ١وج(٢)مجلد (١) ص ٣٩٩

رابعـــا مواقـــــف الإبتــــلاء الاختياريـــــــة

عندما يشعر التلميذ المتتلمذ على تعليم أستاذه بأنه وصـــل الـــى درجـــة الإتقان والثقة فيما تعلمه من أستاذه، فإنه يتجرأ بأن يطلب من أســـتاذه بأن يختبره حتى يعلم التلميذ ان ما إكتسبه ثابتا عنـــده ، وأنـــه مســتعد لمواجهة أى إختبار ، مهما كانت صعوبته ، وهنا يبتسم الإســـتاذ مـــن تلميذه ويقدم على ما تمناه تلميذه من وضع إختبار يناسب قدرات هـــذا التلميذ .

وهذا إذا طبقناه فى تربية الرب لبعض عباده الذين إصطفـــاهم بان يكونوا رسله الى العباد ، ومن أحسن من الله إذا ربى وعلم ، أما من تعلمه فبعضهم وصل الى درجة الإتقان العالى ، لدرجة انهم طلبوا مـــن رب العالمين بأن يختبرهم حتى يكونوا على درجة أيقن مما هم فيـــها ، مثل خليل الله إبراهيم الذى إبتلى فوفى ، قال تعالى { وإذ إبتلى إبراهيـم ربه بكلمات فأتمهن }[١] وقوله تعـــالى { وإبراهيـــم الـــذى وفـــى }[٢] فإستحق بأن يكون بمثابة أمه ، كما قال تعالى{ إن إبراهيم كان أمـــة }[٣] لأنه قام على تنفيذ جميع أوامر الله وإنتهى من كل نواهيه ، وبلغ الرسالة على أكمل وجه ، مهما كان ذلك مخالفا لقياس عقله كما سبق ذكر ذلـــك فى مواقفه الإبتلائية ، وهذا مثالا ، للذين وصلوا الى هذه الدرجة الرفيعة

---

(١) البقرة ايه ١٢٤

(٢) النجم ايه ٣٧

(٣) سورة النحل آيه ١٢٠

الى جانب بعض الأنبياء الآخرين ، الذين وصلوا الى درجة رفيعة من درجات الحكمة ، والرفعة في النبوة ، لدرجة انهم طلبوا من رب العالمين بأن يضعهم في مواقف إختبار رباني ، لتزيد ثقتهم بالله وفي أنفسهم وفيما وصلوا إليه ، وسوف نذكر بعض الأمثلة بإذن الله في هذا النوع من مواقف الابتلاء الاختياري مثل إبراهيم وموسى وداوود عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام •

## الموقف الأول

إختيار إبراهيم بإبتلائه بكيفية إحياء الموتى

•وصل إبراهيم عليه السلام لدرجة رفيعة من الإيمان عند ربه ، وكما يقال الصعود الى القمة أيسر من المحافظة عليها ، والقمة التى وصل إليها إبراهيم عليه السلام لم تكن بالشيء الهين الذى يستطيع أى إنسان أن يصل مثله ، فقد إختبر بإلقائه فى النار فلم يجزع ولم يطلب مساعدة من أى مخلوق ، وإختبر بترك ولده وحيده ، هو وأمه فى صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء ، لم يأبى ولم يعترض ، وأختبر بذبح نفس هذا الولد عندما إشتد صباه ، وكان فى أحوج الحاجة اليه فى شيخوخته ، فقدم على التنفيذ مسلما أمره لله عز وجل ، فأثيب على كل ذلك بدرجة الخليلية ( خليل الرحمن ) ، وأصبح إبراهيم عليه السلام بمثابة أمة ، وهو فرض واحد ، فهذه المكانة الرفيعة العالية ، خاف عليها إبراهيم الخليل عليه السلام وأراد أن يحافظ عليها بدوام اطمئنان قلبه بأنه لا يزال ، على أكمل وجه من توفى أوامر ونواهي الله عز وجل ، وأنه لا يزال متمما لكلمات الله عز وجل ، فأراد الإطمئنان وتثبيت قلبه على هذا الإيمان وهو يعلم عليه السلام أن الله مقلب القلوب بين أصبعيه ، ومن حقه أن يطمئن قلبه وأن يطلب من ربه ذلك بطلبه بأن يدخله فى إختبار وإبتلاء جديد ، ولكن هذا الإبتلاء هو من إختيار إبراهيم عليه السلام لكى ، يطمئن قلبه أنه لا

يزال نابضا متدفقا كما عهد الله اليه من قبل ، فطلب الخليل عليه السلام من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، ويرى ذلك أمام عينيه حتى يثبت إبراهيم عليه السلام لنفسه أنه هذا الموقف ثابتا مطمئنا كعهد الله به ، مهما كان هذا الموقف غريبا ومنافيا للعقل ، فإبراهيم عليه السلام قادرا على تحمله ، كما تحمل المواقف الإبتلائية السابقة ، وبالفعل سأل ربه ، كيفية إحياء الموتى لا شكا بالله والعياذ بالله من أن يشك ، ولكن شك إبراهيم عليه السلام فى نفسه وفى قلبه من أن يكون قلبه غير متحملا لأى إبتلاء جديد وهذا حق كل مؤمن بأن يريد أن يحافظ على إيمانه، بأن يقول دوما ليل نهار إهدنا الصراط المستقيم ، وثبت قلوبنا على اليقين ، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، قال تعالى { ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب }(١) روى أن أسماء بنت يزيد ابن السكن كانت تحدث أن رسول الله ﷺ كان يكثر من دعائه : اللهم مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، قالت قلت يا رسول الله وإن القلب ليتقلب ، فقال نعم ما خلق الله من بنى آدم من بشر إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه " فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه

رحمة انه هو الوهاب "وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يدعوا " يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، قلت يارسول الله

(١) سورة آل عمران ، أيه ٨

ما أكثر ما تدعوا بهذا الدعاء فقال " ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه أما تسمعى قوله ( ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب(١)

ولذلك طلب الخليل عليه السلام من ربه هذا الطلب المتضمن إختبارا وإبتلاءا لتحمله كى يطمئن قلبه قال تعالى {وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى}(٢) فقول الخليل عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى ) منصرف دلالة هذا الإطمئنان اليه والى قلبه بالتحديد من جهة إطمئنانه على نفسه ، فالشك هنا ليس منصرفا للله ألبته وفى قدرته الى إحياءه الموتى فكيف نفهم ذلك من سياق الآيه ، ونحن نعتقد بعصمة الأنبياء خصوصا فى قضية مثل هذه والأنبياء ، أكثر ما كانوا يبلغوه وأكبر قضية هى الإعتقاد فى اليوم الآخر بإحياء جميع الخلائق ومحاسباتهم فكيف يتأتى لخليل الرحمن بأن يفهم عنه أنه شك ؟ روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وهو قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم : إذ قال رب أرنى كيف تحيى الموتى(٣)

ولا يجوز لأى مخلوق بأن يقول أن الأنبياء يشكون لأن ذلك يعد كفرا والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث .

---

(١) انظر الصحيحين ؛ وأصل حديث ثابت ، وغيرهما من طرق كثيرة ،وأنظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ج(١)ص٣٤٨

(٢) سورة البقرة ايه ٢٦٠

(٣) البخارى : صحيح البخارى ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، كتاب التفسير ، ج٣ص١٠٨

قال صاحب الفتح ، لم يشك إبراهيم فى أن الله يحيى الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل لـه العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثانى بكيفيته ومشاهدته ويحتمل أنـه سأل لزيادة اليقين وإن لم يكن فى الأول شك لأن العلوم قد تتفاوت فى قوتها فأراد الترقى من علم اليقين الى عين اليقين .[1] وهذا بالضبط ما ذهبنا أليه من أن المؤمن الذى وصل الى درجة عالية من الإيمان ، فإنه يحرص على أن يحافظ على هذه الدرجة ويظل قلبه غير مطمئن من أن يتقلب والعياذ بالله ،.فيبقى المحافظة على الدعاء بالتثبيت من قبل مثبت القلوب ، سبحانه وتعالى ، فاستجاب مثبت القلوب ، الى عبده الذى يريده أن يطمئن قلبه بأن يدخله فى تجربة جديدة ، وإختبار عظيم ، وإبتلاء مثل الإبتلاءات التى إجتازها من قبل ، حتى يرى الخليل عليه السلام ثباته وسكينة قلبه ، وإطمئنانه ، لأن هذا الإختبار الجديد ، مهما وصل من غرابة ، فأنه لن يكون مثل الإبتلاءات السابقة ، وإبراهيم عليه السلام قد أثبت نجاحا من قبل ، ولابد وأن يكون أيضا حائزا علـى درجة النجاح وبتفوق مثل الإختبارات السابقة ، لأن الله سبحانه وتعالى معه ، دائما ، وسيثبت قلبه دائما ، حتى يكون هذا القلب سليما ويقابل ربه بهذا القلب وهوسليم قال تعالى{ وإن من شيعته لإبراهيم ، إذ جاء ربه بقلب سليم }[2] فقد أستجاب الله لطلب الخليل ، فأمره بأن يأتى بأربعة من

---

(١) إبن حجر ، فتح البارى ، ج٦ ص٢٠٠

(٢) الصافات ، أيه ٨٤

الطير فيذبحهن ثم يقطعهن أجزاء ثم يفرق أجزاءهن على ما يمكنه الوصول اليه من الجبال ثم يدعوهن اليه وسوف يرى كيف تعود اليهن الحياة حينما يرى اجزاء كل طائر منهن ينضم بعضها الى بعض حتى تتكامل ثم تسعى هذه الطيور اليه بعد أن تعود بإذن الله كما كانت قبل أن يذبحها ويقطعها ويفرقها على الجبال • فحدث ذلك أمام عين الخليل الكَلِيلاً، فلم يطر عقله من هول ما رآه ولكن ثبت قلبه وإطمئن ، لأن ثقته بالله أكبر من أن ينزع عقله فى عدم تصور ما يحدث أمامه ، من أن هذه أجزاء قطعها هو بيده ، ونثرها فوق الجبال بنفسه ، وسالت دماء تلك الطيور على الأرض ، والعقل ، بأقيسته المنطقية يستبعد ، رجوع تلك الطيور الى ماكانت عليه من حياة ، لأن العقل ، كأداة متواضعة ، محدودة ، فإنه قاصر على إدراك هذا الامر ، والأفضل لأى عين ترى هذا الأمر أن ترجح ، كافة الثقة بالله ، وتجنب قياس العقل ، لأن الأخير لو إستعملناه وسرنا فى ضربه لحملنا على أشياء لا تحمد عواقبها ، قال تعالى ، {قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم إجعل على كل جبل منهن جزءا ثم أدعهن يأتينك سعيا وأعلم أن الله عزيز حكيم}(١)

(١) البقرة ٢٦٠

## الموقف الثانى

إختيار الكليم بإختباره رؤية ربه

أراد كليم الله موسى عليه السلام بأن يسأل ربه رؤيته لكن هذا الأختبار كان اكبر من قدرة الكليم عليه السلام حيث أن قدراته وطاقاته محدودة ، حيث بشريته التى لا تتحمل رؤية الله عز وجل ، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد ألا يخذيه ولكن شاء بأن يضرب له مثالا ليقيس عليه حتى يقتنع الكليم عليه السلام بأن الله سبحانه يريد به خيرا حيث محدودية طاقاته البشرية قال تعالى{ ولما جاء موسى لمقياتنا وكلمه ربه قال رب أرنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين}[1]

والتعبير "بلن" يستكشل على من أنكر الرؤية ، على التأبيد ولكن ، الرؤية ثابتة بالقرآن والسنة ،[2] وبالعقل ، ولو كانت غير ذلك لما سألها كليم الله عليه السلام ولو كانت الرؤية غير جائزة لكان السؤال منه جهل ومن يكون كذلك لا يكون أهلا الرسالة ، فضلا على أنه من أولى العزم من الرسل ، ونجد من سياق الآيه وما ذكر من حوار بين الكليم وربه ، انه سبحانه وتعالى لم ينهاه عن ذلك ولم ينهره ولم يعاتبه كمعاتبته لبعض

(١) سورة الاعراف ١٤٣

(٢) أنظر ، جمال محمد سعيد عبد الغنى ، الأباضية فى ميزان الإسلام ، عدد ٢٠ ص٤٠٨

أنبيائه ولكن نفى الرؤية هنا فى قوله لن ترانى، أى لن ترانـــى بطـــاقتك البشرية المحدودة هذه لأن طاقتك لا تتحمل رؤيتى كما أن الجبل الــذى هو أقوى وأصلب منك ، لا يطيق مجــرد تجلى البارى ســبحانه عليــه فهذا طلب الكليم عليه السلام من رب العالمين، بأن يضعه فى هذا الإختبــار من رؤيته سبحانه وتعالى ، ولكن الإمتحان أكبر من أن يتحملــه الكليــم عليه السلام ولذلك عندما وجد اثر التجلى على الجبل أغشى عليه ، وعندمـــا افاق من إغشائه إعترف بأنه كان غير محق فى هذا الطلـــب حيــث لا طاقة له بهذا الإبتلاء فتاب الى الله ، واقر بأنه أول من آمن بأن الرؤيــة لله عز وجل لابد وأن يؤهل إليها المخلوق حتى يكون على مستوى أعلى مما هو عليه ، حتى يطيق هذه الرؤية ، فثقة الكليم عليه السلام بالله جعلته يقــو بذلك ، بأنه أول من آمن بهذا الموقف الأبتلائى وأن رجوعه الى الحــق وإعتراف به توبه لم تكن عن ذنب مقصود متعمد ، بل كان رغبته مـــن أن يكون فى إختبار يظنه أنه يطيقه ويتحمله .

## الموقف الثالث

إختيار الكليم عليه السلام بأن يختبر فى مواقف متعددة مع العبد الصالح

وقف كليم الله عليه السلام فى بنى إسرائيل خطيبا ، يذكرهم بالله عز وجل ويوعظهم ، وما أن إنتهى حتى سأله رجل ، : هل فى الأرض من هو أعلم منك ؟ فأجابه الكليم بالنفى ، فأوحى الله إليه أن العلم أعظم من أن يحويه رجل ، أو ينفرد به رسول ، وأن فى الأرض من هو أعلم منه فقال الكليم عليه السلام يارب أين مكانه ، لعلى ألقاه ، وكان بداخل الكليم عليه السلام رغبة فى أن ينال من علمه شيئا ، وايضا رغبة فى أن يضع نفسه فى مواقف ، إختبار يمتحن نفسه بها، فدله الله على مكانه ،وعندما وصل اليه فعرفة طلب منه أن يصاحبه ، بإتباعه على أن يتعلم ، مما علم من ربه ، فاجابه العبد الصالح ، بأنه لن يستطيع الصبر على مواجهة مواقف الإختبار التى لها من الأسرار الربانية ما يخفى على العقول ولا يتماسك أمامها إلا من هو أهلا للثقة، بالله عز وجل ، فأجابه الكليم بأنه ، سيصبر بإذن الله ومشيئتة ، وأنه لن يعصى فى أمرا فإشترط عليه العبد الصالح بألا يتعجل الأمر ولا يسأل عن شيء حتى يخبره بعد ذلك ، بحقيقة ، تلك المواقف .

قال تعالى ﴿ فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ، قال إنك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا

قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا، قال فإن ،إتبعتنى فلا تسئلنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا }[١]

وإختار كليم الله عليه السلام بأن يضع نفسه ، فى مواقف إبتلائية مع العبد الصالح ، رغبة منه فى التعلم ، ولكى يختبر مدى ثباته ، على ما وصل إليه من مكانة عظيمة ، وسط قومه بنو إسرائيل ، وبالفعل ، حدث ذلك ، وواجه ، ثلاثة مواقف ، لم يستطع أن يوقف ، قياسه العقلى ، أمام ، ما يشاهده ، من أمور غريبة ، فقاس بعقله مدى نكران الجميل ، لمسكينين قدما لهم المساعدة ، فى عبور النهر، فخرق العبد الصالح سفينة المسكينين ،"فقال له موسى أخرقتها لتغرق أهلا ؟ لقد أرتكبت بعملك هذا أمرا عظيما ،"[٢] فذكره العبد الصالح ،بأنه لن يستطيع الصبر على ما سيواجهانه ، فتذكر الكيلم وعده ، وإعتذر ، ثم واجه موقف آخر ، إعترض فيه الكيلم ، متهما العبد الصالح بأنه جاء بفعل منكر بقتله غلاما ، لم يفعل ذنبا ، فذكره العبد الصالح بوعده ، فاعتذر الكليم عليه السلام ووعده بمفارقته . إن سأله عن شيء آخر ، فواجهه موقف ثالث بأن مر على أهل قرية يسألوهم الطعام ، فرفضوا ذلك ، فوجدا فيها حائطا يكاد يسقط فأقامه العبد الصالح ، وتعجب موسى من فعل العبد الصالح ، يسيئون إلينا ونقدم لهم إحسانا ، وقبلها يحسنون الينا ونقدم لهم إساءة ، حينئذ ، قال الكليم ، لو شئت أتخذت أجرا مقابل بناء

(١) سورة الكهف : ٦٥ – ٧٠

(٢) محمد فريد وجدى ، المصحف المفسر ، طبعة الشعب ،ص٣٩٠

هذا الحائط ، عندئذ أخبره العبد الصالح بأن هذا هو الفراق وأنه سيخبره بالذى ، لم يستطع عليه الصبر ، لأنه قابل تلك المواقف بقياسه العقلى ، لأن لتلك المواقف أبعاد لا يعلمها إلا الله والإنسان قاصر على أن يفهم تلك المواقف ، أى يفهم حقيقتها ، لأن الخرق الذى حدث للسفينة كان وراءه هدفا ساميا ، وهو إعابة تلك السفينة حتى لا يأخذها ملك ظالم يستحوذ على ممتلكات الآخرين ، وأن الغلام الذى قتله ، كان وراءه مصير مشين لأنه كان سيؤذى والديه المؤمنين ، بعصيانه وكفره، وشاء الله أن يستبدلهما خيرا منه يعينهما على تقوى الله ، وأيضا الإحسان الذى قدمه لهذا القرية البخيلة ، كان وراءه يتيمين صغيرين ، تركا لهما أبوهما كنزا تحت هذا الحائط ،فأراد الله أن يبلغا أشدهما ليستخرجا الكنز بأنفسهم ، دون إغتصاب من هذه القرية الظالمة ، قال تعالى{ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفيني غصبا، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقمهما طغيانا وكفرا ، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنزهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا }(١)

(١) سورة الكهف ، ٧٩-٨٢

وأقر العبد الصالح ، بأنه لم يفعل ذلك من قبل نفسه ولا بعلمه المحدود بل فعله ، بعلم الله وبمشيئته وبإذنه فكليم الله عليه السلام معذور أمام تلك المواقف لأنه لم يحط بها خبرا ، لأن تلك المواقف الإبتلائية ، يبتلى بها الإنسان ويقف أمامها حائرا متعجبا ، لأن أبعادها غير معلومة والفطن الكيس الذى يريد الله به خيرا يجعله متقبلا لها ، بثقة بالله عز وجل ، غير جذع مما يحدث أمامه ، لأننا فى كثير من الأحيان نكره الشيء ويكون فيه خيرا عظيما ، والعكس وارد ، فنحب الشىء ويكون فيه شرا لنا ، لأن الله سبحانه وتعالى هو أعلم ببواطن الأمور ونحن لا نعلم فعلمنا قاصر محدود .

## الموقف الرابع

إختيار داود عليه السلام بأن يختبر من قبل الله

كان داود عليه السلام من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وقرأ عنهم الكثير فيما وصلوا اليه من مكانة عالية رفيعة عند ربهم ، وتمنى بأن يكون مثلهم ، فدعا ربه بذلك فأخبره سبحانه وتعالى بأن هؤلاء إبتلوا إبتلاء عظيما وإختبروا في مواقف عديدة فنجحوا فيها ، فطلب داوود عليه السلام من ربه بأن يختبره في أى موقف ، وأن يبتليه ، إبتلاءا يظهر مكانة ثباته وإيمانه وثقته في ربه ،" قال الثعلبى :قال قوم من العلماء : إنما إمتحن الله داود بالخطيئة ؛ لأنه تمني يوما على ربه منزلة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وسأل ربه أن يمتحنه نحو ما إمتحنهم ، ويعطيه نحو ما أعطاهم ، وكان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام ، يوم يقضى فيه بين الناس ، ويوم يخلوا فيه بعبادة ربه ، ويوم يخلو فيه بنسائه وأشغاله ، وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فقال يارب أن الخير كله قد ذهب به آبائى ؛ فأوحى الله تعالى إليه ، إنهم أبتلوا ببلايا لم يبتل بها غيرهم فصبروا[١] وعدد له مواقف إبتلاء أبائه ,ونجاحهم فيما أختبره فيه ، ثم قال له " ولم تبتلى أنت بشيء فقال داود عليه السلام فابتلنى بمثل ما أبتليتهم ، وأعطنى مثل ما أعطيتهم فأوحى الله تعالى إليه ، أنك مبتلى فى شهر كذا فى يوم

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ١٦٧

الجمعة ، فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه ، وأغلق بابه ، وجعل يصلى ويقرأ الزبور .[1] وفى رواية أخرى أبو بكر الوراق ، ذكرها القرطبى فى تفسيره ، حيث قال : كان داوود كثير العبادة فأعجب بعمله وقال هل فى الأرض أحد يعمل كعملى ، فأرسل الله إليه جبريل ، فقال : إن الله تعالى يقول لك أعجبت بعبادتك ، والعجب يأكل العبادة كما تأكل النار الحطب ، فإن أعجبت ثانية وكلتك الى نفسك ، قال يارب كلنى الى نفسى سنة قال : إن ذلك لكثير ، قال فشهرا ، قال أن لك لكثير ، قال فيوما قال إن ذلك لكثير ، قال يارب فكلنى الى نفسى ساعة ، قال فشأنك بها ، فوكل الأحراس ، ولبس الصوف ، ودخل المحراب ، ووضع الزبور بين يديه [2] ففى هاتين الروايتين السابقتين ، كان داوود عليه السلام هو الذى يطلب الإبتلاء والإختبار من قبل ربه ، أما سفيان الثورى فيذكر ان داود عليه السلام إختار الابتلاء لمدة ثانية متضائلا بها بأن يكون فيها إختبار بعد أن عرض الله سبحانه وتعالى إبتلائه أكثر منها

قال سفيان الثورى " قال داود ذات يوم : يارب ما من يوم إلا ومن آل داود لك فيه صائم ، وما من ليلة إلا ومن آل داود لك فيها قائم فأوحى الله إليه ، يا داود منك ذلك أو منى ؟ وعزتي لأكلنك الى نفسك قال : يارب أعف عنى ، قال أكلك الى نفسك سنة ، قال : لا بعزتك قال فشهرا قال لا بعزتك ، قال فأسبوعا ، قال لا بعزتك ، قال فيوما

(١) المرجع السابق :ص١٦٧

(٢) المرجع السابق ج١٥ ص١٦٩

قال : لا بعزتك ، قال فساعة ، قال : لا بعزتك قال فلحظة فقال له الشيطان: وما قدر اللحظة ، قال كلنى الى نفسى لحظة ، فوكله الله الى نفسه لحظة ، وقيل ، هى فى يوم كذا وفى وقت كذا ،فما جاء ذلك اليوم جعله الله للعبادة ، ووكل الأحراس حول مكانه وخلا بعبادة ربه ، ونشر الزبور بين يديه[1] فكانت فتنة داوود فى المحراب ، بأن إختبره الله فى هذه الثانية التى إختارها ، وما حكم فيه بين الخصمين ، الذين تسوروا المحراب ، ودخلا عليه فجأة ، وكان ملكين ، ففزع منهما فطمأناه ، "

قال الشيخ النجار " إن داود جزأ أزمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما لخاصة نفسه فتسور عليه ملائكة فى صورة الناس فى يوم الخلوة والإحتجاب ، والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه ، ففزع منهم فقالوا له لا تخف نحن فوجان مختصمان بغى بعضنا على بعض – فأحكم بيننا بالحق ولا تشطط ( لا تجر فى الحكم ) وأهدنا الى سواء الصراط ( وهو العدل ) إن هذا أخى ( فى الدين والصحبة) له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها ( أى ملكنيها ) وعزنى فى الخطاب ( أى غلبنى فى الحجة أو فى خطبة المرأة ) فأجاب داود قائلا لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ( منكرا فعل خليطه ومهجا طمعه ) وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم( أى قليل وجودهم وكأنه يتعجب لقلتهم )

---

(١) المرجع السابق ج١٥ص١٦٩

وظن داوود إنما فتناه ( إبتليناه بالذنب وأمتحناه بالحكومة ليتنبه ) فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا وأناب الى الله تعالى بالتوبة(١) وفطن داوود عليه السلام إلى أن الموقف الذى تعرض إليه هو الإمتحان الذى كان ينتظره ، والإبتلاء الربانى الذى فتن فيه، وحكم عليه السلام بين الخصمين ، وفتنته ليست محددة، المعالم ، هل هى إبتعاده عن الناس وإنشغاله بالعبادة فى هذا الوقت بالذات وهم محتاجون إليه ، أم تسرعه بالحكم بين الخصمين قبل أن يسمع الخصم الآخر ؟ أم خوفه منهما ، بعد أن تسورا المحراب وفوجئ بهما ؟ أم هى القصة التى دار حولها الشكوك ، والأرجح أنها متبعها إسرائيلى والخاصة بما قيل ، فى حق داود عليه السلام مع المرأة التى كانت لقائده الشجاع والمقاتل أوريا بن حنان ؟ وعلى كل فإن فتنة داود عليه السلام وقعت ولا محالة ، بصرف النظر عن ماهية وحقيقة هذه الفتنة ، والشاهد فى فتنة داود عليه السلام أن الإنسان المؤمن يجب أن يستبعد نفسه عن إختيار وضعه فى إختبار مع الله عز وجل ، بمعنى أنه لا يوكل لنفسه ذلك طرفة عين ، وطرفة العين أقل من اللحظة التى يستقلها ويستهون بها ويتضائلها أى مؤمن ، لكن الإختبار إذا جاء من قبل الله بعيد عن إختيار الإنسان فإن الله سبحانه يعينه على هذا الإبتلاء مهما طال به العمر ، المهم أن يضع ثقته بالله عز وجل ، حتى تنزل السكينة والطمأنينة على قلبه ، ولا يقيس بعقله المحدود ، هذا الموقف

(١) عبد الوهاب النجار

الإبتلائى ، بموازين منطقية عقلية ، لأن ذلك فيه الجذع والتهلكة ، والعياذ بالله

قال تعالى { وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وإهدنا الى سواء الصراط ،إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب، قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود إنما فتناه فإستغفر ربه وخر راكعا وأناب}[1]

(١) سورة ص أية – ٢١-٢٤

خامسا مواقف الإبتلاء المتعلقة بالثقة بالله يسبقها قليل من العقل فىكثير من المواقف الإبتلائية لعباد الله المؤمنين يكون ، تعلق تلك المواقف فى الثقة المطلقة بالله عز وجل ، لكن الإنسان هو الإنسان بعقله وجدله ،قال تعالى { وكان الإنسان أكثر شيء جدلا }[1] وهذا الجدل الإنساني يتأتى من سماع الإنسان لبعض الأخبار، التي هى فوق ، إدراك العقل ، والعقل يقف أمام تلك الأخبار موقف المجادل المراجع المندهش ولو لمدة دقائق معدودات ، وهذه الدقائق المعدودات وهذا الجدل ، لا يقلل من تعلق تلك المواقف الأبتلائية ، من تعلقها بالثقة المطلقة بالله عز وجل ، وسوف نعرض بمشيئة الله عدة مواقف إبتلائية من قبل الله لعبادة ، تتعلق بالثقة فيه سبحانه وتعالى لكنها ، بدأت بقليل من القياس ، والجدل البشرى الذى لا يقلل من شأن تلك المواقف الإبتلائية لأصحابها لأنهم مهما وصلوا الى درجة سامية عند الله ، فإننا لا ننسى أنهم بشر ،

## الموقف الأول

موقف إبراهيم الخليل عليه السلام من بشارة الملائكة له بإسحاق عليه السلام

بشرت الملائكة إبراهيم عليه السلام بغلاما عليم يدعى إسحاق عليه السلام وكان الخليل عليه السلام قد كبر سنه ، هو وزوجه سارة فضلا على أنها كانت عقيم لا تلد فعندما بشر بالغلام إندهش لدقائق قليلة وقاس ذلك ببشريته وبالقياس العقلي ، أن الهرم والكبر كيف ينتج أولاد ، رغم أنه كان على

(١) الكهف آية ٥٤

يقين أن الله على كل شىء قدير ولم يكن موقف إبراهيم عليه السلام من تلقى الخبر بهذه الصورة إلا تعجبا مما يسمع ، ومن نتيجة هم يخبرونه بها ، مقدماتها مفقودة لكن الله على كل شىء قدير قال تعالى { ونبئهم عن ضيف إبراهيم ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون ، قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم ، قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون ، قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين ، قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون }[1]

قال الشيخ الرازى ، لفظ ما ههنا إستفهام بمعنى التعجب كأنه قال بأى اعجوبة تبشروننى ؟ فإن قيل : فى الآيه إشكالان : الأول : أنه كيف إستبعد قدرة الله على خلق الولد منه فى زمات الكبر وإنكار قدرة الله تعلى فى هذا الموضع كفر . والثانى كيف قال ( فبم تبشرون) مع أنهم قد بينوا ما بشروه به ، وما فائدة هذا الإستفهام ؟ قال القاضى ، أحسن ما قيل فى الجواب عن ذلك أنه أراد أن يعرف أنه تعالى يعطيه الولد مع أنه يبقيه على صفة الشيخوخة أو يقلبه شابا ، ثم يعطيه الولد ، السبب فى هذا الإستفهام أن العادة جارية بأنه لا يحصل الولد حال الشيخوخة التامة وإنما يحصل فى حال الشباب[2] وقد سجلت الآيه قول إبراهيم عليه السلام أن الجاذعين القانطين من رحمة الله هم الضالون ،

---

(١) سورة الحجر أيه ٥١-٥٦

(٢) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ج١٩ دار الفكر الطبعة الاولى ١٩٨(١)ص١٩٩

وهو لم يكن أبدا كذلك ، فهو كان عليه السلام إيمانه يوازن إيمان أمة

ونهى إبراهيم عليه السلام عن القنوط لا يعنى أنه كان به شيء منه ، لأن نهى الإنسان عن الشيء لا يعنى أنه فعل هذا الشيء

قال ابن عباس قوله بشرناك بالحق ) يريد بما قضاه الله تعالى ، والمعنى أن الله تعالى يرد أن يخرج من صلب إبراهيم عليه السلام أسحق عليه السلام ، ويخرج من صلب إسحاق مثل ما خرج من صلب آدم فإنه تعلى بشر بأنه يخرج من صلب إسحق أكثر الانبياء ، فقوله ( بالحق ) إشارة الى هذا المعنى وقوله( فلا تكن من القانطين ) نهى لإبراهيم عليه السلام عن القنوط ، وقد ذكرنا كثيرا ان نهى الإنسان عن الشي لايدل على كون المنهى عنه فاعلا له كما في قوله تعالى ( ولا تطع المنافقين) ثم حكى تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال ( ومن يقنط من رحمه ربه إلا الضالون )

هذا الكلام حق لأنه القنوط رحمة من الله تعالى لا يحصل إلا عند الجهل بأمور : أحدها أن يجهل كونه تعالى قادرا عليه ، وثانيها : أن يجهل كونه تعالى عالما بإحتياج ذلك العبد اليه ، وثالثها ، أن يجهل كونه تعالى منزها عن البخل والحاجة ، فكل هذه الامور سبب للضلال، ولهذا المعنى قال ( ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون )[1]

(١) المرجع السابق ص٢٠٢ج١٩

فثقة ابراهيم عليه السلام فى ربه لم تتزحزح لحظة ، وما حدث منه فى هذا الموقف كان مجرد وقفة بشرية أمام خبر فاق عقله ، فتوقف أمامه بقياسه العقلى ، بمراجعته للمبشرين ، بقليل من الجدل ، لكنه ادرك انه مسلما لله وبما يخبره به ، مهما كان هذا الخبر مستحيلا فى قياس العقل ومنطقه.

## الموقف الثانى

موقف إبراهيم الخليل عليه السلام بجدله مع الملائكة بخصوص إبن أخيه بعد أن بشرت الملائكة ، الخليل إبراهيم عليه السلام بالغلام العليم سألهم عن مقصد ، سيرهم وهم جمع ، حيث أنه فطن الى أن مجيئهم لم يكن للبشارة وحسب ، لأن البشارة يكفيها ملك واحد ، لكنهم جمع ، وهذا الجمع لابد وأن يكون وراءه مقصد وهدف ، فأخبروه أن مقصدهم القوم المجرمين ، قوم لوط عليه السلام إبن أخيه ، فجادلهم عما جاءوا من أجله بأن هذه القرية فيها لوط عليه السلام وهو من المؤمنين ، فطمأنوه أن هلاكهم تلك القرية ، لم يكن ولن يكون عشوائيا لأنهم يعلمون بإذن الله من فيها من المؤمنين قال تعالى { ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين ، قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا إمرأته كانت من الغابرين }(١) فكان إبراهيم عليه السلام يظن أن الهلاك سيشمل جميع سكان القرية ، وهذا

(١) العنكبوت أيه : ٣١-٣٢

قياس بشري يعذر فيه من سمع الخبر لأول وهلة ، وهناك رأى آخر في أن جدل إبراهيم ﷺ كان وراءه هدف التأخير ، تأخير العـــذاب حتـــى يأتي العفو من الله عز وجل ، ولا يمكن أن نقول أن جدل إبراهيـم ﷺ كان وراءه رفض لقضاء الله وما أراده بهذه القرية لأن ذلك يتنافى مـــع ما مدح به ﷺ من أنه حليم أواه منيب

قال الفخر الرازى ( هذه المجادلة إن كانت مع الله تعـــالى فـــهي جرءة على الله ، والجرءة على الله تعالى مـــن أعظـــم الذنـــوب ، ولأن المقصود من هذه المجادلة إلة ذلك الحكم وذلك يدل على أنه مـــا كـــان راضيا بقضاء الله تعالى وأنه كفر . وإن كانت هذه المجادلة مع الملائكـــة فهى أيضا عجيبة ، لأن المقصود من هذه المجادلة أن يتركوا إهلاك قوم لوط ، فإن كان قد إعتقد فيهم إنهم من تلقاء أنفسهم يجادلون فـــى هـــذا الإهلاك فهذا سوء ظن بهم ، وإن اعتقد فيهم أنهم بأمر الله جاؤوا فـــهذه المجادلة تقتضي أنه كان يطلب منهم مخالفة أمر الله تعالى وهذا منكر . والجواب من وجهين .

**الوجه الأول** {وهو الجواب الإجمالي أنه تعالى مدحه عقيب هـــذه الآيه فقال ( إن إبراهيم لحليم أواه منيب ) ولوكان هذا الجدل من الذنوب لما ذكر عقيبه ما يدل على المدح العظيم .

**الوجه الثانى** {وهو الجواب التفصيلي أن المراد من هذه المجدلـــة سعى إبراهيم فى تأخير العذاب عنهم وتقريره من وجوه .

الوجه الأول (أن الملائكة قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية ) فقال إبراهيم أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها ؟ قالوا : لا قال : فأربعون قالوا لا . قال : فثلاثون قالوا لا . حتى بلغ العشرة قالوا : لا قال :أرأيتهم إن كان فيها رجل مسلم أتهلكونها ؟ قالوا : لا فعند ذلك قال : إن فيها لوطا وقد ذكر الله تعالى هذه فى سورة العنكبوت فقال ( ولماجاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية أن اهلها كانوا ظالمين قال أن فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه وأهله وإلا أمرأته كانت من الغابرين )

الوجه الثانى ( يحتمل أن يقال إنه عليه السلام كان يميل الى أن تلحقهم رحمة الله بتأخير العذاب عنهم رجاء أنهم ربما أقدموا على الإيمان والتوبة عن المعاصي ، وربما وقعت تلك المجادلات بسبب أن أبراهيم كان يقول إن أمر الله ورد بايصال العذاب ، ومطلق الأمر لا يوجب الفور بل يقبل التأخى فأصبروا مدة أخرى ، والملائكة كانوا يقولون إن مطلق الأمر يقبل الفور ، وقد حصلت هناك قرائن دالة على الفور ، ثم أخذ كل واحد منهم يقررمذهبه بالوجوه المعلومة فحصلت المجالدة بهذا السبب ، وهذا الوجه عندى هو المعتمد .

(الوجه الثالث ) فى الجواب لعل إبراهيم عليه السلام سأل عن لفظ ذلك الأمر وكان ذلك الأمر مشروطا بشرط فأختلفوا فى أن ذلك الشرط هل حصل فى ذلك القوم أم لا فحصلت المجادلة بسببه(١)

(١) الفخر الرازى : ج١(٢)ص٣١

وعلى كل فإن الجدل قد وقع بين الخليل عليه السلام والملائكة بصرف النظر عن سبب هذا الجدل ، والشاهد من هذا الجدل أن ثقة إبراهيم عليه السلام في ربه كانت راسخه بقلبه ، وما حدث من هذا الجدل هو مجرد مناقشة منطقية وجهها الخليل عليه السلام الى رسل الله ، لا إعتراض منه على أمر الله ولكن رحمة بقوم لوط عليه السلام بأن ينتظر منهم التوبة والإنابة ، أو أنه خشى على لوط نفسه من أن يلحق به العذاب وهو لا يزال في هذه القرية هو ومن آمن معه . فطمأنته الملائكة أن هذه القرية ، ستعذب بحجارة موسومة أى تعرف أصحابها حتى ولوكان لوطا نفسه بداخل هذه القرية ،

قال تعالى { قال فما خطبكم أيها المرسلون ، قالوا إنا إرسلنا الى قوم مجرمين ، لنرسل عليهم حجارة من طين ، مسومة عند ربك للمسرفين }(١) والمهم أنه علم من أن عذاب تلك القرية واقع ولا محالة وأنهم سيخرجون من كان فيها من المؤمنين وهنالك طلبوا من الخليل عليه السلام بأن يكف عن جدله ، وعن أقيسته العقلية وتذكر ثقته بالله عز وجل ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يعاقب إلا من إستيئس من توبته ، وأن المطيعين تلحق بهم رحمة الله حتى ولو ذاغوا قليلا ،قال تعالى {فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ، إن إبراهيم لحليم أواه منيب ، يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء امر ربك وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود }(٢)

---

(١) سورة الذارات أيه ٣١-٣٤

(٢) سورة هود أيه ٧٤-٧٦

## الموقف الثالث

إبتلاء سارة زوج إبراهيم عليه السلام بتبشيرها بالغلام العليم

عندما بشرت الملائكة سارة بأنها ستحمل وتلد ، رغم شيخوختها ورغم عقمها تعجبت ، وضربت صدرها ، من أثر الدهشة، وقالت ألد وأنا عجوز عقيم ، وكان تعجبها فى محله بمقياس العقل البشرى ، حيث أن العقل يستبعد حدوث ذلك لأن مقدماته لا توحى بهذه النتيجة ، لكن قدرة الله ومشيئته أكبر من أى قياس منطقى بشرى ، والمؤمنون والمؤمنات يضعون ثقتهم بالله ، فسرعان ما يرجعون الى رشدهم ، بتذكرهم ثقتهم بالله عز وجل قال تعالى { وأمرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، قالت ياويلتى ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب ، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد}(١) وقال تعالى {فأقبلت إمرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ، قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم }(٢) وتعجب سارة لم يكن مبنيا على شكها بالله ولا فى قدرته ، فحاشاها أن تظن فيها ذلك ، ولكن التعجب كان مبينا على مخالفة ما تعارف عليه الناس من أن العقيم والشيخ الهرم ، يستبعد إنجابهما أولاد ، فقولها إنها " إنها تعجبت من قدرة والتعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر ، بيان المقدمة الأولى من ثلاثة أوجه : أولها : قوله

---

(١) سورة هود أيه ٧١-٧٣

(٢) الذاريات أيه ٢٩-٣٠

تعالى حكاية عنها فى معرض التعجب ( ألد وأنا عجوز ) وثانيها : قوله ( إن هذا لشيء عجيب ) وثالثها : قول الملائكة لها ( أتعجبين من أمر الله ) وأما بيان أن التعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر ، فلأن هذا التعجب يدل على جهلها بقدرة الله تعالى ، وذلك يوجب الكفر .

والجواب : أنها إنما تعجبت بحسب العرف والعادة لا بحسب القدرة فإن الرجل المسلم لو اخبره مخبر صادق بأن الله تعالى يقلب هذا الجبل ذهبا إبريزا فلاشك أنه يتعجب نظرا إلى أحوال العادة لا لأجل أنه إستنكر قدرة الله تعالى على ذلك .[1] والتعجب حصل من أجل مخالفة العادة ، لأن سارة كانت تشاهد عجائب تحدث فى بيتها ، خصوصا لزوجها الخليل عليه السلام ولذلك وجهت الملائكة لها هذا الاستفهام (فقد حكى الله تعالى أن الملائكة قالوا ( أتعجبين من أمر الله ) والمعنى : إنهم تعجبوا من تعجبها ، ثم قالوا( رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ) والمقصود من هذا الكلام ذكر ما يزيل ذلك التعجب وتقديره : إن رحمة الله متكاثرة وبركاته لديكم متعاقبة ، وهى النبوة والمعجزات القاهرة والتوفيق للخيرات العظيمة فإذا رأيت ان الله خرق العادات فى تخصيصكم بهذه الكرامات العالية الرفيعة وفى إظهار خوارق العادات وإحداث البينات والمعجزات ، فكيف يليق به التعجب .[2] وبذلك زال التعجب ، من نفس سارة بتذكرها أنها من أهل البيت وأن السلام على

---

(١) الفخر الرازى : ج١٢ص٢٩

(٢) المرجع السابق ص٢

أهل البيت ، لأنهم مسلمون أمرهم وثقتهم للحميد المجيد الـــذى يعطـــى بدون أسباب ونرى نتائج بدون مقدمات ، فهذا كله مخالفا لمنطق العقـل البشرى لأنه فوقه بمراحل كثيرة ، والثقة بالله تجعل المؤمـــن يتغـاضى عن السير فيه خصوصا أمام مواقف الإبتلاء هذه ،

## الموقف الرابع

## إبتلاء يوسف الصديق عليه السلام فى غياهب السجن

فضل يوسف عليه السلام السجن بدلا من أن يغويه نساء مصر فقال القرآن حاكيا عن لسانه

{ قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عني كيـدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين }[1] لكـن السجن هو السجن وطبيعته ينفر منها البشر ، مهما كانت درجاتهم ورفعتهم ، فتمنى يوسف عليه السلام أن يخرج من السجن ، وتعلقت أمنيته ببعض البشر الذى ظن فيهم أنهم سيخرجون منه قريبا وما كان ليوسف الصديق عليه السلام أن يفعل ذلك وهو النبى الصديق إبن الإنبياء الصديقين ، حيث أنه قاس بالعقل ، وأخذ بأسبابه ، وقاس على ذلك بمنطق العقل ، أن هذا الخارج من السجن لعله يذكره بخير ، عند الملك ، لكن من تعلق بالبشر فكأنه قبض بيده الماء ، لأن رب البشر موجود سبحانه وتعالى هو الأولى بالمناجاة وبطلب العون ، ثم بعدها نأخذ بالأسباب التى يسوقها الينا

---

(١) يوسف آيه ٣٣

سبحانه وتعالى ، ثم نتوكل على رب الأسباب . وأرى أنه لا يليق أن نعتقد في يوسف الصديق هذا ، أي تعلقه بغير الله أو نسيانه لربه ، سوى أن نقول أن النبى عبارة عن بشر يوحى اليهم ، والبشرية يرد عليها أى شىء بشرط ألا يتعرض ذلك مع عصمة الأنبياء قال تعالى { وقال للذى ظن أنه ناج منهما أذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين }(١)

قال الطبرى : حدثنا أبن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن إبن عباس مرفوعا قال : قال النبى ﷺ ( لولم يقل – يعنى يوسف – الكلمة التى قال ما لبث فى السجن طول ما لبث حيث يبتغى الفرج من عند غير الله(٢)

لكن إبن كثير قد ضعف تلك الرواية ( لأن رواية سفيان بن وكيع ضعيفة وإبراهيم بن يزيد أضعف منه أيضا ،وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو فى غير هذا الموطن ، والله أعلم(٣) هذا بالنسبة للرواية التى قدحت فى نسيان يوسف لربه أما بالنسبة إذا أخذنا ذلك من وجهة أخرى فإن ذلك يترتب عليه وجهان أولهما أن تمسكه عليه السلام بغير الله كان مستدركا عليه ، ونقرير ه من وجوه : الأول : أن مصلحته كانت

(١) سورة يوسف آيه ٤٢

(٢) ابن جرير الطبرى : تفسير الطبرى : ج١(٢)ص٢٢٣

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العيظم ج(٢)ص ٤٧٩

فى أن لا يرجع فى تلك الواقعة الى أحد من المخلوقين وأن لا يعرض حاجته على أحد سوى الله ، وأن يرجع فى تلك الواقعة الى أحد من المخلوقين وأن لا يعرض حاجته على أحد سوى الله ، وأن يقتدى بجده إبراهيم عليه السلام ، فانه حين وضع فى المنجنيق ليرمى الى النار جاءه جبريل عليه السلام وقال : هل من حاجة ، فقال أما أليك فلا ، فلما رجع يوسف الى المخلوق لاجرم وصف الله ذلك بأن الشيطان أنساه ذلك التفويض ، وذلك التوحيد ، ودعاه الى عرض الحاجة الى المخلوقين ، ثم لما وصفه بذلك ذكر أنه بقى لذلك السبب فى السجن بضع سنين ، والمعنى أنه لما عدل عن الإنقطاع الى ربه الى هذا المخلوق عوقب بأن لبث فى السجن بضع سنين ، وحاصل الأمر أن رجوع يوسف الى المخلوق صار سببا لأمرين : أحدهما : أنه صار سببا لإستيلاء الشيطان عليه حتى أنساه ذكر ربه . الثانى : أنه صار سببا لبقاء المحنة عليه مدة طويلة

( الوجه الثانى) أن يوسف عليه السلام قال فى إبطال عبادة الأوثان ( أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) ثم أنه ها هنا أثبت ربا غيره حيث قال ( أذكرنى عند ربك) ومعاذ الله أن يقال إنه حكم عليه بكونه ربا بمعنى كونه إلها ، بل حكم عليه بالربوبية كما يقال رب الدار ، ورب الثوب على أن إطلاق لفظ الرب عليه بحسب الظاهر يناقض نفى الأرباب(١) والمحقق المتأمل فى هذا الموقف الإبتلائى يجد أنه من الجائز

---

(١) الرازى : مفاتيح الغيب ج١(٢)ص١٤٨

طلب العون والمساعدة من الغير فى حالة دفع الظلم عن النفس أو عن الغير ، بإعتباره سببا ، والله أمرنا بالأخذ بالأسباب ، كى يمكننا الوصول الى مأربنا ،والقياس العقلى الذى إتبعه يوسف عليه السلام هو جائز وروده على نبيا فيه جزء بشرى ، يريد الخلاص مما أوقع هؤلاء الظالمون به ، لكن ثقته بالله كانت متواجده معه دوما ، بدليل ثناء الله عليه أنه كان من المخلصين ، ،ان الله سبحانه وتعالى لم يوجه إليه مؤاخذه ولا عتاب يقدح بموقفه هذا فى السجن ،وأحسن ما كتب فى هذا الموقف هو أن التأويل قد تحقق ( وان الأمر قد قضى على ما أوله يوسف . ويترك هنا فجوة ، نعرف منها أن هذا كله قد كان . ولكن الذى ظن يوسف أنه ناج فنجا فعلا لم ينفذ الوصية ، ذلك أنه نسى الدرس الذى لقنه له يوسف ، ونسى ذكر ربه فى زحمة حياة القصر وملهياتها قود عاد اليها ، فنسى يوسف وأمره كله)[1]

١ سيد قطب : فى ظلال القران ج١(٢) ص١٩٩٢

## الموقف الخامس

موقـــف عزيـــر بمـــروره علــــى القريـــة الخاويـــة بعد أن أعتدي بختنصر على بيت المقدس وأثر أهله ، خرب هذه القريـة وأصبحت خالية من السكان وأصولها مهدمة لدرجة أن عزيـر الرجـل الذى كان من بنى إسرائيل عندما مر بها قاس بعقله البشرى من إستبعاد رجوع هذه القرية الى حالها مرة أخرى ، وتعجبه هذا نبـع مـن هـذا القياس المنطقى ، مبنيا على ما رأته عينه من خراب تلك القرية ، لكـن ثقته بالله كانت موجودة بقلبه ، ولم يدرك تلك الثقة ويتنبـه اليـها إلا أن رأى بنفس العين التى رأت خراب القرية ، رأت أيضا عمارها من جديد لكن بعد مائة عام ، قال تعالى ، {أو كالذى مر على قرية وهى خاويـة على عروشها قال أنى يحى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثـم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوما قال بل لبثت مائة عـام فـأنظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وإنظر الى حمارك ولنجعلك أيـه للناس وأنظر الى العظائم كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين لــه ، قال أعلم أن الله على كل شيء قدير[(١)]

قال إبن كثير :لما مر عزير على بيت المقـدس بعـد تخريـب بختنصر لها وقتل أهلها ( وهى خاوية ) أى ليس فيها أحد مـن قولـهم خوت الدار

---

(١) البقرة ٢٥٩

وقوله (على عروشها ) أى ساقطة سقوفها وجدرانها على عرصاتها فوقف متفكرا فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة وقال ( أنى يحى هذه الله بعد موتها ) ؟ وذلك لما رأى من ثورها وشدة خرابها وبعدها عن العود الى ما كانت عليه قال تعالى ( فأماته الله مائة عام ثم بعثه ) قال وعمرت البلدة بعد مضى سبعين سنة من موته وتكامل ساكنوها وتراجع بنو إسرائيل اليها[١] ويمكن أن يكون سؤال عزير ( أنى يحيى هذه بعد موتها ) كان وراءه شك فى إحياء أموات هذه القرية ، ولكن هذا مستبعد ، لأن ذلك يحملنا على أن نقول أنه كان شاكا فى قدرة الله عز وجل ، قال القرطبى (قوله تعالى ( أنى يحيى هذه الله بعد موتها ) معناه من أى طريق وبأى سبب ، وظاهر اللفظ السؤال عن إحياء القرية بعمارة وسكان ، كما يقال الآن فى المدن الخربة التى يبعد أن تعمر وتسكن ، أنى تعمر هذه بعد خرابها ، فكأن هذا تلهف من الواقف المعتبر على مدينته التى عهد فيها أهله وأحبته ، وضرب له المثل فى نفسه بما هو أعظم مما سأل عنه ، والمثال الذى ضرب له فى نفسه يحتمل أن يكون على أن سؤاله إنما كان على إحياء الموتى من بنى آدم ، أى أنى يحيى الله موتها ، وقد حكى الطبرى عن بعضهم أنه قال : كان هذا القول شك فى قدرة الله تعالى على الإحياء فلذلك ضرب له المثل فى نفسه ، قال إبن عطية : وليس يدخل شك فى قدرة الله تعالى على إحياء قرية يجلب العمارة إليها وإنما يتصور الشك ( من جاهل ) فى الوجه الآخر ، والصواب ألا يتأول فى الآيه شك .[٢]

(١) إبن كثير ج(١)ص٣١٤

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مكتبة الغزالى ، ج٣ص٢٩٠

فهذا الموقف من عزير كان الأولى فيه أن يستبعد البرهان العقلي : والمنطق الوجداني ، بل الأولى أن يكون الثقة الموجودة لديه بالله هي الظاهرة على أى شيء آخر ، ولذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن يريه إحياء هذه القرية بالتجربة وبعينه التي رأت خراب القرية ، حتى يكون على يقين ويزداد يقينه أكثر من أن الله على كل شيء قدير .

"قال السيد قطب (قوله أنى يحيى هذه الله بعد موتها ) كي تدب الحياة في هذا الموت فأماته الله مائة عام . ثم بعثه " لم يقل له كيف . إنما أراه في عالم الواقع كيف ؛ فالمشاعر والتأثرات تكون أحيانا من العنف والعمق بحيث لا تعالج بالبرهان العقلي ، ولا حتى بالمنطق الوجداني ، ولا تعالج كذلك بالواقع العام الذي يراه العيان ، إنما يكون العلاج بالتجربة الشخصية الذاتية المباشرة ، التي يمتلىء بها الحس ، ويطمئن بها القلب ، دون كلام [١] ولذلك عندما بعثه الله ، وأدرك أن موته كان آيه وإحياءه كان آيه وبقاء هذا الطعام على صورته وحالته كان آيه وإحياء حماره وهو يرى ذلك بأم عينه ، كل ذلك جعله يجزم ويدرك ، أن الله على كل شيء قدير ، فتحققت ثقته بالله بعد هذا التبين وبعد أن قاس بعقله مسبقا متعجبا مستبعدا ممن يقدر على إحياء وإعمار هذه القرية الخاوية .وبشهادته بين الماضي والحاضر قال ( اعلم أن الله على كل شئ قدير) أى قادر على الاحياء بعد الإماتة والإعمار بعد الخراب .

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن الكريم : دار الشروق ، ص٢٩٩-٣٠٠

## الموقف السادس

بشارة زكريا عليه السلام بالولد وإبتلاءه بسماع هذا الخبر

قام نبى الله زكريا عليه السلام بكفالة مريم البتول ، ورعايتها وتربيتها ، وتنشأتها فى جو روحانى دينى بعيد عن أعين الناس ، وكان ذلك فى محراب منعزل ، وكان عندما يدخل عليها يجد عندها رزقا هو لم يأتى به ، وهو على يقين أن أى بشر لا يجرأ على أن يدخل هذا المكان ويأتيها بهذا الرزق ، ولذلك تعجب وإندهش وسألها عن ذلك ، فأجابته بأن هذا الرزق هو من عند الله ، لأن الله يرزق من يشاء بغير حاسب ، ولذلك تنبه زكريا عليه السلام بأن الله يعطى أشياء بدون مقدمات ويعطى مسببات بدون أسباب فدعى ربه من وقتها بأن يرزقه الولد ، رغم شيخوخته وكبر سنه ، ورغم يقينه بأن زوجته كانت عقيم ، قال تعالى { فتقلبها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ،هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء }(١)

قال الفخر ( عندما سألها عن أمر تلك الأشياء ثم انها ذكرت له أن ذلك من عند الله فهنالك طمع فى إنخراق العادة فى حصول الولد من المرأة العقيمة الشيخة العاقر وذلك يدل على أنه ما وقف على تلك الأحوال إلا بإخبار مريم(٢)

(١) سورة ال عمران ايه ٣٧-٣٨

(٢) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ج٧ ص٣٣

ورغم يقين زكريا عليه السلام أن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، ويعطى الأشياء بدون أسباب ، ويهب المعلولات بدون علل ، إلا أنه عندما وقع على أذنيه خبر البشارة بالولد تعجب وإستغرب الخبر ، وقاس بعقله أن ذلك كيف يكون والأسباب معطلة ، والعلل ليست موجودة ، حيث أنه شيخ كبير ، إشتعل الرأس شيبا ، وإمرأته عقيم ،كان ذلك بقياس العقل وبمنطق البشر المحدود ، لكن زكريا عليه السلام نبى ثقته بالله كبيرة وموجودة ، ويبدو أن سماع خبر البشارة لأول وهله تجعل الإنسان يتعجب ويجادل فى أشياء لا يصح الجدل فيها ولا يجب أن يكون هناك تعجبا من قدرة الله عز وجل ،.

قال الشيخ الرازى : لما كان زكريا عليه السلام هو الذى سأل الولد ، ثم أجابه الله تعالى إليه فلم تعجب منه ولم إستبعده ؟

الجواب ) لم يكن هذا الكلام لأجل أنه كان شاكا فى قدرة الله تعالى على ذلك والدليل عليه وجهان ( الأول ) أن كل أحد يعلم أن خلق الولد من النطفة إنما كان على سبيل العادة لأنه لو كان لا نطفة إلا من خلق ، ولا خلق إلا من نطفة ، لزم التسلسل ولزم حدوث الحوادث فى الأزل وهو محال ، فعلمنا أنه لابد من الإنتهاء الى مخلوق خلقه الله تعالى لا من نطفة أو من نطفة خلقها الله تعالى لا من إنسان

(الوجه الثانى ) أن زكريا عليه السلام طلب ذلك من الله تعالى ، فلو كان ذلك محالا ممتنعا لما طلبه من الله تعالى )[١] وبذلك ثبت يقين

(١) المرجع السابق ج٧ ص٤٤

زكريا عليه السلام من أن ثقته بالله كانت موجودة ثابته ، وما ورد عن تقبلـه الخبر ببشارة الولد ، بهذا القياس العقلى البشرى ، هو مدى وقوع الخبر على أذنيه فجأة من الملائكة ، وهذا لشدة فرحه بـهذه البشـارة ، لكـن عندما كان زكريا عليه السلام ليس كالبشر العادى بل انه النبى المرسل لبنـى أسرائيل كان ذلك محتاج الى تفسير الموقف هذا ، وأيضا عندما طلـب من ربه أن يثبت له هذه البشارة بأمارة وعلامة ، فطلـب منـه حبـس صوته مدة ثلاثة ايام ، وكان ذلك صياما معهودا عند اليهود بدليل قـول الله تعالى عن مريم ( ... فإما ترينى من البشر أحد فقولى إنى نـذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم أنسيا )(١) فكأن صيام زكريا لهذه الثلاثـة أيام بلياليها كان تكفيرا عن تقبله لبشارة الولد بهذا التعجب والإستغراب ، قال تعالى : {قال رب إجعل لى آيه قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيـام إلا رمزا }(٢) وقال تعالى{قال رب اجعل لى آية قال ايتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا }(٣)

وبذلك يمكننا أن نتعلم من هذا الموقف من أن ثقة المؤمنون بربهم لا تتزع أبدا ، وما يرد عن المؤمنين من أقيسه عقلية يواجهونـها أمـام وتوقهم فى مواقف بشرية يكون فيها الخبر من السـماء أكبر منـهم ، فيندهشون ويتعجبون ، لا من قدرة الله عز وجل ، ولكن من هول الخبر

(١) سورة مريم آيه ٢٦

(٢) سورة آل عمران من آيه رقم ٤١

(٣) مريم آيه ١٠

وكبره على تصور العقل وإدراكه له لكن ثقتهم بالله تجعلهم يجزمون أن الله على كل شيء قدير وأنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون ، وهو القادر على ان يجعل الأشياء موجودة بدون أسباب وبدون علل ومقدمات تبرر تواجدها فى هذا الكون لأنه على كل شيء قدير فقدرته مطلقة ، ولا حد لها .

## الموقف السابع

بشارة مريم عليها السلام بإنجابها الولد

ذكرنا أن مريم البتول كانت فى معزل عن الناس ، وكانت فى رعاية نبى من انبياء الله ، وهو زكريا عليه السلام وكانت ترزق بالطعام من عند الله ، بدون سبب ولا علل من التى يعرفها البشر لا أحد يأتى به إليها ، ولا هى إشترته ولا قامت بزراعته ولا بأى شيء من هذا الاسباب التى تأتى بهذا الرزق ، فكرمها الله بهذه الكرامة ، وهى فى المحراب ، فأدركت مريم ان الله على كل شيء قدير وأنه يرزق بغير حساب من يشاء ، وهذا ما حمل زكريا عليه السلام بأن يدعو ربه بالولد .

لكن مريم تعرضت لموقف إبتلائى من قبل الله عز وجل بتبشيرها أنها ستلد ولدا وهى العذراء التى لم تتزوج ، فتقبلت هذا الخبر بالتعجب والدهشة والإستغراب وتفوهت بأن الأسباب المؤدية الى هذا منعدمة ، فهى لم يمسسها بشر ، فكيف تنجب وتلد بدون ذكر ، وهذا هو عرف الناس وما تعارفو عليه من أن الأولاد يأتون من رجل وإمرأة ، ونسيت مريم ما كان لها منذ قليل أن الله يرزق من يشاء بغير حساب وبدون

أسباب وبدون علل ، لأنه على كل شيء قدير ، قال تعالى{ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب }[1] وقال تعالى{ قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر }[2]

وقال تعالى {قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر لم أك بغيا }[3]

( إنها قالت ذلك لأن التبشير به يقتضى التعجب مما وقع على خلاف العادة وقد قررنا مثله فى قصة زكريا )[4] حيث أنه تعجب أيضا من بشارته بالولد ، لكن هو أى زكريا عليه السلام كان موجودا هو وزوجه ، فخروج الولد منهما أمر غير مستبعد حتى ولوكانا عجوزين عقيمين ، أما مريم فالتعجب وارد حتى ولو كانت مرزوقة قبلها بدون أسباب بالرزق الذى كان بمحرابها ، حيث أنها أنثى ستلد ، بدون مجامعتها بذكر ، فدهشتها كانت معذورة فيها حيث العادة لطبائع البشر ، لا التعجب من قدرة الله عز وجل ، وقيل : ما أستبعدت من قدرة الله شيئا ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد : أمن زوج فى المستقبل أم يخلقه الله إبتداء ؟[5] ورغم ذلك أراد الله سبحانه أن يعلمها أن طلب الأسباب لإيجاد الأشياء ليس فى ملكه {لأنه على كل شيء قدير} ولذلك طلب

(١) آل عمران : أية ٣٧

(٢) آل عمران من آيه ٤٧

(٣) مريم آيه ٢٠

(٤) الرازى : الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ج٧ ص٥٩

(٥) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن : ج٢ ص٩٢

منها فى حالة وهنها وتعبها أثناء الوضع لطفلها عيسى عليه السلام بأن تأخذ بالأسباب وأن تهز جزع النخلة إذا أرادت أن تطعم ، فهز جزع النخلة ، أمر عسير بالنسبة لإمرأة حالتها المخاض من وهن وتعب ، ولكن الغرض هو تذكيرها بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب فهى كانت ترزق بغير حساب فى محرابها ، وكانت فتاة غير متعبة لا يألمها حمل ولا مخاض ، أما هى الآن فهى فى حالة مخاض وحالتها الصحية متعبة ورغم ذلك إذا أرادت أن تطلب رزقها ورزق مولودها فلتتطرق الأسباب بهز جزع النخلة ، لتساقط عليها رطبا جنيا قال تعالى { وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا، فكلى وإشربى وقرى عينا }(١)

فثقة مريم فى ربها كانت موجودة وثابتة بدليل أنها لم تعاتب أو تلام من الله فى حالة تعجبها ببشارتها بالولد ، وانها كانت من قبل تعترف بان الله يرزق من يشاء بغير حساب وما صدر عنها من تعجب ودهشة بأنها ستلد ولد هو من تعجب خرق العادة البشرية ، وقياسها العقلى البشرى المحدود الذى يظهر فجأة أمام سماع خبر لا يدركه العقل ولا يتصوره ، لكن الثقة بالله تعود بالقلب المؤمن المطمئن الى سكينته والى رشده حتى يتذكر يقينه وثباته ويبقى عليها ثقة بالله وفى قدرته وفى عطاءاته التى تأتى بأسباب أحيانا ، وبدون أسباب أحيانا أخرى ، لأنه على كل شىء قدير ٠

---

١ مريم آيه ٢٥-٢٦

" وخصوصا أنه قد جاءها الجواب ، يردها الى الحقيقة البسيطة التى يغفل عنها البشر لطول ألفتهم للأسباب والمسببات الظاهرة لعلمهم القليل ، ومألوفهم المحدود .

قال : كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون .وحين يرد الامر الى هذه الحقيقة الأولية يذهب العجب ، وتزول الحيرة ، ويطمئن القلب ، ويعود على نفسه يسألها فى عجب : كيف عجبت من هذا الأمر الفطرى الواضح القريب ، وهكذا كان القرآن ينشىء التصور الإسلامى لهذه الحقائق الكبيرة بمثل هذا اليسر الفطرى القريب ، وهكذا كان يجلو الشبهات التى تعقدها الفلسفات المعقدة ، ويقر الأمر فى القلوب وفى العقول سواء[1]

١ سيد قطب : الظلال ج١ ص٣٩٨

## الموقف الثامن

إبتلاء النبى ﷺ بحديث الإفك فى حق أحد زوجاته

إبتلى النبى ﷺ فى أحد أزواجه وهى السيدة عائشة –رضى الله عنها– حيث قال فيها المنافقون ماقالوا ، وهى الطاهرة العفيفة ، التى زوجها الله سبحانه للنبى ﷺ وبحديث الإفك هذا قد كلف النبى ﷺ والصحابة والأمة الإسلامية آلاما لا حد لها ، وما أعظمه آلام مس الأعراض خصوصا بيت النبوة ، فقد تعلق قلب النبى ﷺ وقلق زوجه السيدة عائشة رضى الله عنها التى يحبها ، وقلب أبى بكر الصديق وزوجه ، وقلب صفوان بن المعطل شهرا كاملا ، علقها بحبال الشك والقلق والألم الذى لا يطاق ، ورغم أن النبى ﷺ كان على يقين وثقة من طهارة زوجته ، وعفتها ، إلا أنه ﷺ أخذ حديث المنافقين فى حق زوجته ، بمقياس العقل والمنطق ، ولكنه ﷺ لم يصل الى نتيجة يقينيه تبرأ زوجته أو تدينها فكان موقفه ﷺ متأرجحا بين هذا وذاك، ويغلب على موقفه ﷺ أنه كاد يرجح ويصدق ماقيل ، إلا أن ثقته بزوجه وحبه لها وتأكده من عفتها جعله ﷺ يتروى ويتدبر أمره ويشاور فيها صحبه ، المقربين مثل أسامة بن زيد وعلى بن أبى طالب وبعض الجوارى ، وكان يدخل عليها وهى مريضة ، فيسأل عنها ، بكلمات قليلات لا تعبر عن الحب العظيم الكبير الذى كان يحمله لها فى قلبه ، فكان يقول ﷺ فى عيادتها ،( كيف تيكم ) وهى مريضة لا تشعر بشيء مما يحدث حولها ويقال فيها " حتى

دخل عليها النبى ﷺ ذات يوم فقالت جلس ولم يجلس عندى من يوم ما قيل لى ما قيل قبلها ، وقد مكثت شهر الا يوحى إليه فى شأن بشيء ،

قالت فتشهد ثم قال : يا عائشة ، لقد بلغني عناك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألمحت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه .

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة وقلت لأبى أجب عنى رسول الله ﷺ قال : والله ما أدرى ما اقول لرسول الله ﷺ قلت لأنى أجيبى عنى رسول الله ﷺ فيما قال ، قالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ قالت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن ، فقلت والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر فى أنفسكم وصدقتم به لئن قلت لكم أنى بريئة والله يعلم أنى لبريئة لا تصدقونى بذلك ، ولئن أعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى لبريئة لتصدقنى ، والله ما أجد لى ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال ( فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ) ثم تحولت على فراشى وأنا أرجو أن يبرئنى الله ولكن والله ما ظننت أن ينزل فى شأنى وحيا يتلى ، ولا أنا أحقر فى نفسى من أن يتكلم بالقرآن فى أمرى ، لكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها ، فو الله ما رام مجلسه ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله عليه الوح وأخذه كان يأخذ من البر حاء حتى أنه ليتحرر فيه مثل الجمان من

العرق في يوم شات ،فلما سرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان اول كلم تكلم بها أن قال لي يا عائشة أحمدى الله فقد برأك الله فقالت لي امي قومى الي رسول الله ﷺ فقلت ، لا والله لا أقوم اليه ولا احمد الا الله [١] فأنزل تعالى قوله ( إن الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم )[٢] الى قوله تعالى ( أن الذن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين أمنوا لهم عذاب أليم في الدينا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون )[٣]

فثقة النبي ﷺ في ربه كانت موجودة حيث سبحانه وتعالى زوجه ، بأشرف وأطهر وأعف النساء ، ولم يجزم النبي ﷺ ويصل الى نتيجة الاتهام لزوجته طوال هذا الشهر المؤلم على أعصابه ونفسه وقلبه ، بدليل أنه كان يعودها في مرضها ، وبدليل أنه كان يستشير أقرب المقربين الي قلبه فيها ، ولم يجزم القول ويحكم عليها بمجرد حديث إفك وكذب قيل في حقها ، وهذا الموقف منه ﷺ هو مجرد وقفة بشرية قيست بالعقل والمنطق ، أمام وابل من أحاديث الافك ، تلوث في أشرف النساء وأطهرها من بيت النبوة خصوصا أن السيدة عائشة كانت أحب النساء الى قلب النبي ﷺ فالنبي ﷺ بشر كباقي البشر الذين يؤلمهم الخوض في أعراضهم فمن حقه ما صدر منه ﷺ من الشورى فيها ، ومن عيادتها بنوع من التجاهل وعدم العطف ، لكن الثقة

(١) البخاري : صحيح البخاري ، ج٢ ص١٠٥

(٢) سورة النور ايه ١١

(٣) النور ٢١

بالله عز وجل بأنه أختارها سبحانه وتعالى له كانت موجودة بقلبه ، والحب لها كان عظيما وكبيرا ، وهذا ما جعله ما يتألم نفسيا من تلك الكلمات الخبيثات التى قيلت فى حقها فرضى الله عن جميع اهل البيت وسلاما ورحمة عليهن .

## الموقف التاسع

إبتلاء النبى ﷺ بإبطال عادة عدم الزواج من حليلة الإبن المتبنى إعتاد العرب بأن يحرموا الزواج من زوجة الإبن المبتنى ،حيث أن التبنى كان عرفا بينهم ، بحيث يرث الإبن المبتنى ، ويحرم أزواجه على الأب الذى تبنى ، ويكون للإبن المبتنى حقوق مثل الإبن من الصلب : فشاء الله سبحانه وتعالى بأن يبطل هذه العادة ، وشاء سبحانه أيضا بأن يكون أول من يبطلها هو النبى ﷺ ويكون ﷺ هو القائم بنفسه على إبطال تلك العادة ، فزوج إبنه المبتنى زيد بن حارثة ، من إبنة عمته ، زينب بنت جحش وهى الشريفة النسيبة فى قومها وزيد كان عبدا تبناه النبى ﷺ فكان يقال له زيد بن محمد ، وتم هذا الزواج رغم أنف زينب لكنها إرتضته حيث أنها تعلم أن لا إختيار لها أمام قضاء الله عز وجل وتوجيهات النبى ﷺ وإرادته نحو هذا الشأن ، وعاشت معه على مضض حتى أمر الله سبحانه وتعالى بفك هذه الزيجة وقضى سبحانه بزواجها من النبى ﷺ فتحرج النبى ﷺ من مواجهة الناس بهذا الأمر العظيم الذى لم يعتدوه ويعرفوه ، وأخفى فى نفسه هذا الأمر وكان ينصح زيد بن

حارثة بحسن العشرة لزوج زينب قياسا منه ﷺ على أن ذلك سيكون متمم لحسن العشرة أو على الأقل لإطالة فترة زواجهما حتى يفعل الله أمرا كان مقضيا ،

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال إن الآيه ( وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ) نزلت فى شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضى الله عنهما . وقال إبن أبى حاتم حدثنا ابى حدثنا على بن هاشم بن مرزوق قال سألنى على بن الحسين رضى الله عنهما ما يقول الحسن فى قوله تعالى ( وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ) فذكرت له ، فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكو اليه قال ( اتق الله وأمسك عليك زوجك ) فقال قد أخبرتك انى مزوجكها وتخفى فى نفسك ما الله مبديه )[١]

فالنبى ﷺ لم يخفى هذا التشريع عن عمد مسبوق بإصرار ،ولكنه ﷺ ببشريته قاس أن مواجهة الناس بهذا الأمر سوف يكون له شأن عظيم عليه وعلى زيد وعلى زينب رضى الله عنهما ولوكان النبى ﷺ متعمدا الإخفاء لأخفى هذه الآيه " قال إبن جرير حدثنى إسحاق بن شاهين حدثنى خالد عن داود عن عامر عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ، لو كتم محمد ﷺ شيئا مما أوحى اليه من كتاب الله تعالى لكتم هذه الآيه ( وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٩١

تخشاه )(١) وكان النبى ﷺ يخفى قضاء الله ، عسى أن تنفع فيه شفاعته وتخشى الناس أن يضلوا بسبب إعتراضهم على أمر لم يألفوه ، وتشويع ما تعودوه ، ولكن من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فما له من هاد ، والله أحق بالخشية والرعاية من سواه ، لأن مألوف الناس وعاداتهم ليست أصلا لتشريع و لا أساسا لقانون ، والنبى ﷺ أول من يهدم العقائد الفاسدة ، ويقوض الخرافات السائدة ، فيقيم بعدها صرحا من الحق ، ومنارا للشريعة السمحة(٢)

فثقة النبى ﷺ بربه كانت موجودة ، وهذه الثقة كان يعلم أنها لن تسبب له حرجا ولا خشية من الناس ، لأن خشيته لربه أقوى وأكبر من أى شىء ، وما أمهله قليلا ، هو أمله فى إصلاح زوجين عل الله أن يطيل عشرتهم أو أن يجعل لهذا التشريع مخرجا يخفف خجله من الناس وهذا وإن دل فإنه يدل على بشريه النبى ﷺ وما تميز به من قياس عقلى مصاحب لمنطق رشيد محاط بالثقة بالله تسعفه وتنقذه من مواجهة أى مأزق أو موقف محرج أمام الناس الذين ينفرون من الشىء الجديد ، لأنهم ألفوا الذى تعارفوا عليه حتى وإن كان خطئا لا يرضى الله ورسوله ، لكن الله سبحانه تعالى محق الحق ومظهر تشريعه القويم الذى فيه المصلحة لكافة البشر ، حتى ولو تسبب ذلك فى إحراج النبى ﷺ أمام الناس لأن الله عز وجل أحق بالخشية من الناس ، والله مبدى أى شىء يخفى

(١) المرجع السابق ص ٤٩١

(٢) محمد أحمد جاد المولى : قصص القرآن ص ٤٧٥

## الموقف العاشر

إبتـــــلاء النبـــــى ﷺ مـــــع إبـــــن أم مكتـــــوم

إبتلى النبى ﷺ بموقف أثناء قيامه بنشر الدعوة الإسلامية ، أثناء دعـــوة مشركى قريش الى دين الإسلام ، وكانوا عظماء القوم ، وترفاءه ، فأراد النبى ﷺ أن يقنع هؤلاء السادة فى الدخول فى الإسلام ، لأن إســـلامهم سيقود أتباعهم بالدخول فى الإسلام بالتبعية ، فهؤلاء يعـــزون الإســـلام ويقووه وهو فى مهد ظهوره ، فأتاه إبن أم كتوم وكان كفيـــف البصـــر يسأله عن أمور هذا الدين ، ويبدو أن عبد الله إبن أم مكتوم لم يفطن إلى إنشغال النبى ﷺ مع سادة قريش ،فإنشغل عنه بهم ، فعوتب من الله عز وجل فى ذلك قال تعالى ( عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من إستغنى ، فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فأنت عنـــه تلهى )(١) فقد قدم النبى ﷺ على هذا الفعل مع إبن أم مكتـــوم بعـــد أن أدرك أن دعوة هؤلاء ودخولهم فى الإسلام سيكون فيها الأثـــر الطيـــب الكبير على الأخرين وعلى هذا الدين الحديث الظهور ، قياسا بعقل النبى ﷺ وببشريته التى كانت ترجح أمر على أمر طمعا فى إعزاز هذا الدين ونشره ، قال السيوطى : عن عائشة رضى الله عنـــها قـــال " أنـــزل الله سورة عبس وتولى فى غبن أم مكتوم الأعمـــى ، أتـــى رســـول الله ﷺ فجعل يقول : يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله ﷺ رجـــل مـــن

---

(١) سورة عبس أيات ١-١٠

عظماء المشركين ن فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ، ويقول ، أترى بما أقول بأسا ، فيقول : لا في هذا أنزلت .

وأخرج بن سعيد بن منصور وعبد الله بن حميد وإبن المنذر عن أبى مالك فى قوله ( عبس وتولى " قال جاءه عبد الله بن أم مكتوم فعبس في وجهه وتولى ، وكان يتصدى لأمية بن خلف ، فقال الله { أما من إستغنى فأنت له تصدى }(١)

فتصدى النبى ﷺ لسادة قريش كان وراءه هدفا نبيلا ساميا ، وهو تفانى الداعى ﷺ فى مخاطبة السادة الذين فى إمكانهم إدخال أكبر عدد بهذا الدين من أتباعهم ، وإقناعهم يكون له شأن بخلاف المستضعفين من الفقراء والمساكين ، لكن الموازين البشرية لا قيمة لها عند الله سبحانه وتعالى ،حيث أن المستضعفين من الفقراء والمساكين هم الذين حملوا لواء هذا الدين فى مهده ، وكانت لهم الغلبة والنصرة بعد ذلك ، والثقة بالله جعلتهم يتمسكون بعرى هذا الدين فوثقوا بهذه العروة الوثقى المتينة التى حملتهم على الرفعة والنصرة على سادتهم ، وثقة النبى ﷺ بالله جعلته يميل ويحنو على هذه الطائفة المستضعفة لأنه كان منهم وكان يشرف بذلك فتحققت ثقته بالله مع تزكير الله فى هذا الموقف بحقيقة نصرته لهذه الطائفة المغلوبة على أمرها الذين أخلصوا النية لله وتمسكوا بهذا الدين ، وناصروه فتحقق لهم النصر ،فقال الله لهم { كلا أنها تذكره }(٢)

(١) الامام السيوطى : الدر المنثور فى التفسير المأثور ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٩٠ ج٦ ص٥١٧

(٢) سورة عبس أية ١١

## سادسا

### مواقف الابتلاء المتعلقة بالقياس العقلي فقط

ذكرنا أن للعقل مناطه الخاصة به ، وهو الاستدلال على وجود الله ووحدانيته ، وإستنباط الأحكام الشرعية من المصادر الأصلية فى الإسلام ، وإستخلاص القوانين الأخلاقية التى تنظم حياة الأفراد ، بعضها مع بعض وبين الإنسان وخالقه ، وبينه وبين نفسه ، إلى جانب النظر في الكون من سمواته وأرضه ونجومه ، وايضا النظر فى الأنفس فكل هذه الجوانب يباح للعقل أن يعمل فيها ، ويجتهد ويكون له الكلمة والرأى.

أما النقل فله مناطه الخاص به ، والذى لا ينبغى للعقل أن يعمل فيه ، ولا أن يجتهد ألبته ، لأن موضوعات النقل التى اختص بها فوق قدرات العقل ، ألا وهى موضوعات الإيمان الخاصة بالذات الإلهية ، وأيضا كل من العلم بالملائكة ، والأنبياء والكتب الإلهية ، واليوم الآخر وما فيه من أحوال ، وقضاء وقدر الإنسان ، فكل هذه الموضوعات لا تدخل للعقل فيها ولا إجتهاد يستطيع أن يعمله فى هذه الموضوعات ، إلى جانب أركان الإسلام من عبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج والمعاملات فكلها أحوال وموضوعات توقيفية ، أوقفنا الشرع على حقيقتها وكنهها ، حتى الإحسان الذى يختص بالجوانب الشخصية المنفردة بالإنسان ، وهو المراقبة الإلهية ومراعاتها ، بحيث يعبد الإنسان ربه وهو مستحضر أن الله يراه ، فإن كان الإنسان لا يرى ربه ، فإنه يعبده مستحضرا تلك

الرؤية كأنه يراه لأن الله سبحانه وتعالى يراقبه ويراه بالفعل ، فهذه العلاقة لم يصل إليها العقل ، بقدراته المحدودة ، بل الشرع هو الذى أوقفنا عليها ، وهى درجة الإحسان مثلها مثل الإسلام والإيمان .

هذا الى جانب الحل والحرمة فى الشرع فالذى يقوم بهما هو الله سبحانه ، فمثلا الأعراض والدماء الأصل فيها هى الحرمة ، والذى يحل أى شىء منهما هو الله دون العقل ، وأيضا الأصل فى الأشربة والأطعمة والملبس هى الإباحة ،والذى يحرم شيئا منها هو الله دون العقل ، فلا مجال للعقل ألبته-فى حل أو-حرمة بل الشرع هو المسئول عن ذلك

أما المواقف الإبتلائية الإختبارية فقد اثبت فى الأوراق السالفة أن العقل ، لا يستطيع إدراك مدى ما وقع فيه العبد من بلاء-هل هو خير أو شر ، لأن إبتلائه هذا هو إختبار سواء إبتلى بالتكاليف ، أو بالشدائد ، أو بالتعرض لموقف خارق ، لناموس الكون ، أو إبتلاء بخبر لا يتصورة ولا يدركه عقله ، فكل هذه المواقف من إستقبلها بالثقة بالله نجى وفاز ، ومن إستقبلها بعقله هلك وخاب ، وهذا ما سأثبته من أن الإبتلاء بمواقفه المختلفة لابد بأن يكون مصاحبا ومشبعا بالسكينة والثقة بالله عز وجل "فالواجب على جميع أهل العلم والإسلام أن يلزموا القصد للإتباع ، وأن يجعلوا الأصول التى نزل بها القرآن وأتت بها السنن من الرسولﷺ غايات للعقول ، ولا يجعلوا العقول غايات للأصول ، فإن الله عز وجل ورسوله ﷺ قد يفرق بين المشتبهين ويباين بين المجتمعين فى المعقول

تتعبدا وبلوى ومحنة ، ومتى ورد على المرء وارد من وجوه العلم لا يبلغه عقله أو تنفر منه نفسه وينأى عنه فهمه وتبعد عنه معرفته وقف عنده واعترف بالتقصير عن إدراك علمه ، وبالحسور عن كنه معرفته ويعلم أن الله عز وجل ورسوله ﷺ لو كشف عن علة ذلك الحادث وأبان وأوضح عن سببه وعن المراد من مخرجه لأدركته عقولنا ولو كان كل ما أتى به الحكم من الله عز وجل والأمر بتعبده أتانا مكشوفا بيانه ، موضحا علته ، لم تكن للعباد بلوى ولا محنة ، وإنما المحن الغلاظ والبلوى الشديدة للأمور والفروض التى لا تنكشف عللها ليسلم العباد بها تسليما ويقفوا عندها إيمانا[١]

وهناك أمثلة عديدة لأفراد وجماعات لم يسلموا فى مواقف إبتلاء ربها وأطلقوا لعقولهم الإرادة والإجتهاد فى هذا الإبتلاء الربانى ، الذى أتاهم ليختبر إيمانهم وقدراتهم الإيمانية التى خذلوا بمواجهة هذا الإبتلاء بعقولهم ، وسوف أضرب بعض الأمثلة التى توضح مدى سقوط أصحاب تلك العقول ، فى مواقفهم الإبتلائية وتخاذلهم •

(١) جلال الدين السيوطى : صون المنطق ، ٦٩ – ٧٠

## الموقف الأول

### إبتلاء إبليس بالسجود لآدم عليه السلام

إبتلى إبليس لعنه الله بإبتلاء ربانى وهو السجود لآدم عليه السلام ، وكان إبليس من الجن الطائعين العبادين الذين وصلوا الى درجة التقوى والقرب من الله عز وجل ، لدرجة أنهم كادوا يكونون ملائكة فى الطاعة والإمتثال لله عز وجل ، ولكن الإغترار بالعبادة والتعجب بها يجعل العبد مضيعا لما قدم لنفسه من عمل صالح يقربه الى ربه ، وهذا ما فعله إبليس بالضبط فى موقفه الإبتلائى ، حيث أمره الله عز وجل بالسجود لآدم ،فإستعظم إبليس وإستكثر أن يفعل ذلك وهو الجنى الذى خلقه الله من عنصر النار ، وهذا المخلوق الذى يدعى آدم عليه السلام والذى خلق من تراب ممزوج بالماء فكان طينا ، وقاس إبليس بعقله هذا الأمر الذى وجه إليه من رب العالمين، وقال أنا مخلوق من نار، وهذا مخلوق من طين ، وعنصر النار أفضل من عنصر الطين ، فخلص الى نتيجة الرفض والإباء لأمر الله عز وجل من سجود عنصر النار لعنصر الطين ، ونسى هذا الملعون أن عنصري النار والطين هما مخلوقات من خلق الله عز وجل ، فرجوع الأفضلية لا تقاس بهذه الطريقة القاصرة بل ترجع الى خالق تلك العناصر من أنه سبحانه وتعالى هو الذى يفضل ويميز خلق على خلق وعنصر على عنصر ، لأنه فعال لما يريد ، ولا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى ،

قال تعالى

{ وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ابـى وأسـتكبر وكان من الكافرين }[١] وقال تعالى { ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنـا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ، قال مـا منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقتـه مـن طين }[٢]

قال تعالى { وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليـس قـال أسجد لمن خلقت طينا }[٣]

وقال تعالى {وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهـم لكـم عدو بئس للظالمين }[٤]

وقال تعالى { وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبـى، فقلنا يآدم إن هذا عدوا لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى }[٥]

فبدأت دائرة العداء والغواية منذ هذا الوقت ، بين إبليس الذى طـرد من رحمة الله عز وجل ، وبين هذا العبد المخلوق من الطين الذى بسببه

(١) البقرة ايه ٣٤

(٢) الاعراف :ايه ١١-١٢

(٣) الأسراء :٦١

(٤) الكهف :٥٠

(٥) سورة طه أيه ١١٦

ثم وحدث ما حدث لإبليس ، ولذلك رأى إبليس وفطن إلى أن غواية هذا المخلوق لا يمكن أن يتم إلا بما وقع فيه هو نفسه ، وهو التمسك بالعقلانية أمام أوامر الله ونواهيه ، أو تصدر العقل أمام أى موقف إبتلائى ربانى لأحد عباده ،فلجأ إبليس الى العسف على وتر العقل ، ومحاولة إغواء آدم عليه السلام وزوجه بالمنطق وبالعقل أمام نهى الله بالأكل من الشجرة فقال لهما بمنطق العقل : لا مبرر لهذا النهى من الأكل من الشجرة بالذات ، حيث أن كل شجر الجنة مباح الأكل منه ، فلماذا هذه الشجرة بالذات ، يحرم أكل ثمرها ؟ لابد وأن يكون هناك هدف من وراء ذلك وهو أن إلاهكم لا يريد أن تكونا ملكين أو أنكما خالدين قال تعالى{ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكون ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين }[١] وقال تعالى { فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى }[٢]

فكان المدخل لآدم وزوجه هو من مخاطبة عقليهما ، فى موقف إبتلائى متعلق بالتكاليف ، والتكاليف من أمر ونهى الواجب فيها أنها لا تناقش ، ولا تعلل ، بل تنفذ بحذافيرها ، وبمنتهى الطاعة العمياء ،

(١) الأعراف أية : ٢٠-٢١

(٢) طه ١٢٠- ١٢١

ويكون فيها إستسلام تام لله عز وجل ، هذا الإستسلام مشــبع بالسـكينة القلبية ، والثقة بالله عز وجل ، فإذا خالف العبد ذلك فإنه سيقع ولا محالة فى المحظور ، والمخالفة لا تعنى الإمتناع عن الأمر ،أو الإقدام علـــى النهى ، بل إن المخالفة بابها مناقشة الأوامر والنواهى والبحث عن عللها المخبئة والمستترة عند الله عز وجل ، وويل للمناقشـــين والمجــادلين ، والمراجعين لأومر الله ونواهيه ، وها هو إبليس اللعين الذى ضرب لنـــا المثل الأول فى العصيان والفسق ، بمناقشته أمر الله وجدلـــه، فإســتحق اللعنة والطرد من رحمة الله عز وجل .

## الموقف الثاني

إبتلاء النمرود في موقف مع الخليل عليه السلام

إبتلى النمرود بن كنعان وكان ملك بابل في موقف مع خليل الله إبراهيم ، حيث أن إبراهيم عليه السلام تحداه بأن رب العالمين سبحانه وتعالى قادر على الإحياء والإماته ، فلم يسلم النمرود بهذه القضية ، وقاس بعقله أنه هو أيضا قادر على ذلك ، وأنه يستطيع أن يحيى ميتا ، ويميت حيا فقاس بعقله تلك القضية : أنه يأتي بالرجلين قد إستحقا القتل فيأمر بقتل أحدهما فيقتل ويأمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل فذلك معنى الأحياء والإماتة في مفهومه المحدود القاصر فلم يسلم بالقضية التي جاء بها نبي الله إبراهيم عليه السلام وهي قدرة الله على الإحياء والإماته عندما رأى منه الخليل قصر النظر ومحدودية العقل ، حاجه بحجة أخرى بأن الله سبحانه يأتي بالشمس من المشرق ويخرجها كل يوم من هذه الجهة ثم يذهب بها الى جهة المغرب فأفحمه بإن كان إلاها أن يأتي بالشمس من جهة المغرب في طلوعها ، فأفحم هذا المعاند والمجادل الكافر وبهت قال تعالى { ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحي وأميت قال غبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين }[١]

(١) البقرة ، ٢٥٨

ولو كان هذا المجادل الكافر لديه أدنى قليل من العقل والتعقل ، للأمور التى يجب إن يعمل فيها العقل ، لكان محاجا إبراهيم عليه السلام بقوله : إن كان ربك يستطيع أن يأتى بالشمس من المشرق ، فأطلب منه أن يأتى بالشمس من المغرب . ولكنه لم يستطيع ان يصل الى هذا الإفحام وهذه الحجة ، حيث أن كفره ، ضاله الى الأسوأ فعندما تعرض الى موقف إبتلائى متعلق بإخبار البارى له ، أنه عل كل شيء قدير وأنه سبحانه وتعالى ، قادر على الإحياء والإماته ، فلم يتقبل النمرود هذه القضية بل جادل فيها ، وإدعى لنفسه ، القدرة على الإحياء والإماته معملا عقله فى قضية لا ينبغى للعقل العمل فيها ، فإستحق اللعنة والكفر والإضلال لأن الله عز وجل لا يهدى من ظلم نفسه وظلم ربه ، بعقله القاصر فى مواقف إبتلاء من قبل الله عز وجل .

## الموقف الثالث

إبتلاء فرعون بدعوته الى الحق والتخلى عن إدعائه بالالوهية

إدعى فرعون لنفسه الألوهية ، وسجل القرآن عليه ذلك قال تعالى { ما علمت لكم من إله غيرى }(١) وفى موضع آخرقال تعالى على لسان فرعون {فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى }(٢) ولم يدع أحد من المخلوقات الألوهية مثل إدعاء فرعن ، حتى إبليس نفسه لم يدعى ذلك بل أنه أقر بالربوبية وباليوم الآخر ، وأقسم بالعزة الإلهية ، فقد نقل القرآن عنه تلك الحقائق{قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون }(٣) وقال تعالى { قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين }(٤) وقد أغتر فرعون بملكه ، ربخضرع من حوله له ، فأطاعوه { فأستخف قومه فأطاعوه }(٥) وعندما دعاه موسى وهارون عليهما السلام الى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد قاس بعقله ، ومنطقه الضعيف ، أنه خيرا من موسى عليه السلام وهذا قياس بشرى نتيجته خاطئة ، لأن فرعون بملكه هذا وبسلطانه ، وبمن حوله لا يساوون أى شيء عند الله عز وجل ، والخيرية لا ينبغى أن تكون بهذا المنطق المريض .

---

(١) القصص أيه : ٣٨

(٢) النازعات أيه : ٢٤

(٣)الحجر أيه ٣٦

(٤) ص أيه ٨٢

٥ الزخرف أيه ٥٤

قال تعالى ، { ونادى فرعون في قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين }(١) فقد كذب فرعون ، بهذه الكلمات التى إتهم موسى عليه السلام بها ، فإدعى أنه مهين أى حقير وضعيف ولا ملك له ، بل فرعون هو المهين ، الحقير الضعيف ، الذى أصبح لا ملك له ، وقد ثبت ذلك فى واقع قصته مع كليم الله موسى عليه السلام فهذا القياس الفرعونى ، الخاطىء مردود عليه ، حيث أن كليم الله موسى عليه السلام نبى مرسل ، من قبل الله عز وجل وهو من أولى العزم من الرسل ، فلا مفاضلة بين هذا الكافر ، العنيد المدعى الألوهية وبين هذه النبى المرسل وهذه الخيرية التى إدعاها ثبت إضمحلالها ، وتهافتها ، وكل قياس هذا شأنه فمصيره يكون مثل مصير فرعون ، وهذا الموقف الإختبارى الذى إبتلى فيه فرعون كان نتيجته رسوبه رسوبا فادحا عظيما .

---

(١) الزخرف أيه ٥٢-٥٣

الموقف الرابع

إبتلاء قارون بما أوتى من غنى وسلطان

إبتلى قارون بأن أعطاه الله مالا وفيرا ، فلم يحمد الله عز وجل ولم يعترف بفضل الله عليه ومنته ، وإدعى أن ما رزق به هو من فضل علمه وكده وحنكته ، قال تعالى {إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وءاتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، وإبتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين، قال إنما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون }[١] فذهب قارون ليقيس بعقله وبمنطقه المحدود ، أن جميع أمواله ، التى فى خزائنه الكثيرة التى لها مفاتيح لا يقدر على حملها الأقوياء من الرجال ، هى من فضل علمه وإجتهاده وبراعته فى عامل المال والإقتصاد والتجارة ، ولا فضل لأحد عليها ، وقد نسب لنفسه العلم والاجتهاد بقوله( إنما أوتيته على علم ) وهذا قياس خاطيء ؛ لأن نتيجته أتت مخالفة لما كان يتصوره قارون نفسه ومن حوله من المعجبين به إذا خسف بداره وبخزائنه فى باطن الأرض ولم يبقى لما إدعاه من فضل الكذب

(١) القصص آيات : من ٧٦ - ٧٨

أى وجود ، فسقط بجدارة فى إبتلائه الذى إختبره الله فيه ، لأنه إدعى فضل الكذب لعلمه وإجتهاده ، وأيضا بخل بهذا المال على الآخرين المحتاجين ، الى إحسانه وتقديم الصدقة اليهم ،قال تعالى {فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ، فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئه ينصرونه من دون الله وماكان من المنتصرين ، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون }(١)

وهكذا يثبت الله سبحانه وتعالى للناس ، فى الوقع المعايش ، أن أقيستهم العقلية ، لا وزن لها عنده ، سبحانه ، وأن الأقدر والمقبول عنده سبحانه ، هو الاعتراف بالفضل ، وبالعطاءات الربانية، وترجمة تلك الاعترافات فى الواقع بالإحسان الى الفقراء ، ومواصلتهم ، فضلا عن الزكاة التى هى حق لهم ، فى منن الله التى يعطيها لبعض عباده ، والشاهد أن قارون قد خزى وفوجع ، فى أمواله وثروته التى كان يدعى لنفسه أنه صاحب الفضل فى إكتسابها ، قياسا خاطئا بعقله المريض ، فلم يكن لديه ثقة بالله عز وجل ، أنهذلك كله بفضل عطاءات ربانية ، ولم يكن لديه ثقة بالله أن في هذا المال حق لمن حوله من الفقراء والمساكين ، فكان جزاءه أن خسف الله بثروته وبداره الأرض فكان مثالا لمن ينحو نحوه ويماثله فى قياسه المريض هذا .

---

(١) سورة القصص، آيات : من ٧٩ -٨٢

## الموقف الخامس

### إبتلاء رجل من بنى إسرائيل بنعم كثيرة

إبتلى رجل من بني إسرائيل بأن أعطاه الله جنتين من أعناب ، تحفهما أشجار النخيل ، وجعل الله له بين العنب والنخل ، زرعا يانعا مثمرا ، وفجر الله فى تلك الجنتين نهرا صافيا ، فلم يحمد الله على نعماءه ولم يشكره ، وذهب يقيس بعقله ، جحوده وكفرانه ، مغترا بذلك غائظا غيره ، بأنه له مالا وفيرا ونفرا وأعوانا يخدمونه ، وظن أن جنتيه لن تزول أبدا ، ولئن كان هناك آخرة ، سيحاسب فيها الناس سوف يعطيه ربه خيرا من جنتيه هاتين ، قاس بعقله المحدود كل ذلك ، وبمنطقه المغرور عاند غيره ، ممن وضع ثقتهم بالله عز وجل وتيقنوا أن الفضل بيد الله يعطيه من يشاء ويمنعه عمن يشاء ، قال تعالى {وأضرب لهم مثلا رجلين جلعنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجلعنا بينهما زرعا ، كلتا الجنتين ءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا ، وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا }(١)

(١) سورة الكهف آيه ٣٢-٣٦

فرد عليه من لديه ثقة بالله عز وجل ، بأن كفه عن كفره ونهره ، عن شكه فى إتيان اليوم الآخر ، وذكره بأنه خلق من تراب ومرجعه الى تراب ، وأنه ينبغى عليه أن يحمد الله على نعمائه ، بأن يقول ، بسم الله ماشاء الله ، إذا أعجب بجنتيه لأن الله قادر على أن يزيلهم ، ويحرمه منهما ، قال تعالى { قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ، لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى احدا ، ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا}[١]

- وقال له بمنطق الثقة بالله أن الله سبحانه قادر على أن يعطينى مالا وولدا ويعطينى جنتين خيرا من جنتيك ، ويقدر سبحانه وتعالى أن يرسل عليهما عذابا من السماء بماء غزير يغرق تلك الجنتين ، فتصبح ترابا أملسا ، لا يثبت فيه قدم ولا زرع ، وهو القادر على أن يجعل الماء الذى يسقى به تلك الجنتين غائرا بعيدا ، عن أيدى طالبيه ومنال طالبيه ، فتحققت قدرة الله عز وجل فى جنتي هذا الكافر ، وكأن المؤمن الواثق بالله كان ينبؤه بمصيره وبمصير جنتيه ، فأحيط بثمره وبجنتيه وهما خاويتان على عروشهما نادما على كفره ونكران شكر الله وحمده ، وحجوده وقياسه العقلى ، أن كل ذلك لن يزول ، قال تعالى { فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح

(١) سورة الكهف ايه ٣٧-٣٩

صعيدا زلقا ، أو يصبح ماؤها غورا ولن تستطيع له طلبا ، واحيط بثمره واصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا }[1] وهكذا ينتصر الذى يضع ثقته بالله ، ويسقط فى الإبتلاء والإختبار الربانى من يتصور أن عقله ، يحمله على دوام النعمه ، وبقاء الأعوان والأبناء ، وذلك لأن مقاييس الله عز وجل لا تقاس بمقاييس البشر العقلية ، فشتان ما بينهما .

(١) سورة الكهف آيه ٤٠ -٤٤

## الموقف السادس

### إبتلاء بنى إسرائيل بأن يذبحوا بقرة

يتلخص إبتلاء بنى إسرائيل بأن أمروا أن يذبحوا بقرة ، حيث أن منهم من قام بقتل نفس ، فإختلفوا فى شخصية القاتل المجهول وراح كل فريق يدفع عن نفسه التهمة وينكر أنه هو الجانى ، ولم ولم تكن هنـــاك بينة على جريمة القتل التى حصلت ، فأراد الخالق سبحانه وتعـــالى أن يكشف ما كانوا يكتمونه ، وأن يظهر الحق بآية من آياته الدالـــة علـــى قدرته تعالى ، وهى إحياء القتيل ليخبر بنفسه عن قاتله . وكانت الوسيلة لذلك هى ذبح بقرة ، ثم ضربه ببعض من تلك البقرة الذبيح ، ولكن بنى إسرائيل ، كعاداتهم من مواجهة أى موقف إبتلائى من قبل الله عز وجـل بأن قابلوه بالتعنت ، والتلكؤ فى الإستجابة ، لأمر الله عزوجل ، وذهبـوا يقيسون بعقلهم هذا الأمر ، ويتهمون نبيهم كليم الله عليه السلام ويصفونه بأنـه يتخذهم هزوا ، وحاشاه أن يكون هاذيا ، مع أمر من أوامـــر الله عـز وجل ، ولذلك إستعاذ بالله أن يكون من الجاهلين ،{ وإذ قـــال موسـى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بـــالله بـــأن أكون من الجاهلين }(١)

فقد أمر الله بنى إسرائيل بذبح بقرة ، أى بقرة ، ولو إمتثلوا لأمـر الله على الفور لكانوا منفذين مطيعين لله ، لكنهم جادلوا وراجعـــوا نبيـهم

(١) البقرة ٦٧

فشددوا على أنفسهم ، فشدد الله عليهم ، وضيقوا على أنفسهم ، الأمر المطلق فضيق الله عليهم الأمر المكيد ، بأن طلب منهم بأن يذبحوا بقرة لا مسنة هرمة ولا صغيرة لم تلد ، ولكنها بقرة نصف قد ولدت بطنا بعد بطن ، بين الهرم والشاب ، وأنها صفراء فاقع لونها تسر الناظين ، وهى ليست مذلله بالحراثة ولا معدة للسقى بل هى بقرة حسنة صبيحة مسلمة صحيحه لا عيب فيها ، وليس فيها لون غير لونها . فكانوا يسيئون الأدب مع رسولهم فيطلبون منه دعاء ربه ، وكأنه سبحانه ربه وحده رليس ربهم ، وبعد هذا التعنت والتلكؤ في الأقيسة العقلية ، والمنطق الواهى ، قالوا الآن جئت بالحق ، وكأن كلامه كان قبل ذلك ليس حقا ، وهذا وإن دل فإنه يدل على قصر نظر بنى إسرائيل وقلة إيمانهم بنبيهم ، و بإلاههم ، بأن عدموا الثقة في كلامه لأول وهله فليست لديهم ثقة بالله ، بأن رسوله يأمرهم بالحق .

## الموقف السابع

### إبتلاء بني إسرائيل بدخولهم الأرض المقدسة

إبتلى الله بنى إسرائيل بموقف تكليفي ، حيث أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة التى كتبها الله سبحانه وتعالى لهم ، بشرط الطاعة والإنابة الى الله تعالى ، وقابلوا هذا الأمر الإلهى بالنكران والجحود ، وسوء الأدب ، وقاسوا هذا الأمر بعقولهم ، حيث أن منطقهم حكم بأن هذه الأرض التى أمروا بدخولها فيها قوماً جبارين ، ولا طاقة لهم بمحاربهم وقالوا لموسى عليه السلام إننا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، وبذلك تجرأو ا على أمر الله سبحانه وتعالى برده وعدم فعله ، بأن قاسوا أنهم ضعفاء وغيرهم أقوياء ووزنوا بينهم وبين القوم العمالقة ، ونسوا أن إبتلاء الله بأمر ما لا يقاس بالعقل ، بل ينفذ بدون مناقشة ، ولا رد ولا إعمال رأى ،قال تعالى { ياقوم إدخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ، قالوا ياموسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون }(١)

وكان كليم الله موسى يستشعر أنهم سيتخاذلون ، ويعترضون على أمر الله عز وجل ، ولذلك طلب منهم ألا يرتدوا على أدبارهم حتى لا يخسروا ، نعمة الجهاد وألا يرسبوا فى إمتحان الله لهم ، بأمرهم دخول هذه الأرض ،

---

(١) المائدة أيه ٢١-٢٢

## الموقف الثامن

إبتلاء بني إسرائيل بعدم صيدهم الحيتان يوم السبت

إبتلى الله بني إسرائيل ، بعدم اصطيادهم لأسماك البحر يوم السبت ، وباقي الأسبوع ، يحل لهم صيده ، لكن عقلية بنى إسرائيل مادية مجادلة فوقفت أمام هذا التحريم ، بالتساؤل والإستفسار ، والمراجعة ، وقاسوا بمنطقهم سبب تحريم ، إصطيادهم في هذا اليوم بالذات ، والأسماك كثيرة ووفيرة ، وظاهرة على وجه الماء أمام أعينهم ، وكما ذكرنا سابقا أن أوامر الله ونواهيه لا تناقش ، حتى ولو لم نقف على حكمتها ، أو الغاية من وراءها لأن هذا إختبار من الله لعباده ، ليظهر من يطيع ومن يعصي ، ومن يستجيب للأمر بدون مناقشة ولا مراجعة ، ومن يرد ومن يناقش ريجادل ويعاند ، حتي يكون مصير الفسق والهلاك والغضب من الله عز وجل ، وهذا ما فعلته بنو إسرائيل في موقفهم الإبتلائي هذا قال تعالى {وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون }[1] هكذا كان الإبتلاء في قرية أيلة وهي على شاطىء بحر القلزم وقيل أنها بين مدين والطور ، فإختبر بني إسرائيل بعدم الصيد في يوم السبت وبالرغم من ذلك كان السمك يظهر لهم على وجه الماء في هذا اليوم ولكنه يختفي في اليوم المحلل لهم

---

(١) سورة الأعراف ، أية ١٦٣

الصيد فيه ، هكذا كان الإختبار الرباني لهم ، ففسقوا ، عن أمر الله عز وجل ، وقاسوا بعقولهم ، أن صيدهم فى هذا اليوم الذى يكثر فيه الأسماك يكون أحسن من أى يوم آخر ، من الأيام التى كانت الاسماك تختفى وتغيب عن أعينهم ، فوقعوا فى المحذور ، وسقطوا فى إمتحان الله لهم ، بعقلهم ، القاصر عن الفهم ، وبمنطقهم الضعيف ، وبقياسهم الفاسد فاستحقوا العقوبة بأن يمسخوا قردة وخنازير ، قال تعالى {فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين}(١)

(١)الأعراف ١٦٦

## الموقف التاسع

إبتلاء جنود طالوت بعدم الشرب من الماء ومواجهة العدو

إبتلى الله طالوت وجنوده ،عندما قدموا على أحد غزواتهم ،وجهادهم فى محاربة العمالقة ، بعدم الشرب من الماء ، بصورة كبيرة ومن أراد أن يطعم الماء فعليه بأن يشرب مقدار ملىء يده فقط ، وهذا إمتحان الله لهم ، فقاس بعضهم بعقله ، هذا التكليف الربانى ، وفكر فيه كثيرا ووجد أن هذا الشئ لا مبرر له وعقله لا يقبله ، فقدم هؤلاء على عصيان الأمر، ورفضوا الإمتثال ، لطالوت ورب طالوت ، وشربوا من الماء وفسقوا عن أمر الله ، إلا قليلا منهم ممن إمتثل لله عز وجل ولطالوت ، فلم يشربوا من الماء إلا غرفة بيديهم ، دون أن يفكروا أو يتعقلوا أو يعرفوا الحكمة من وراء تكليف الله لهم بذلك ، فلقبوا بالمؤمنين الذين تابعوا طالوت ، فى مواصلة الجهاد ، ثم إنقسم هؤلاء على أنفسهم ، عندما واجهوا العدو ، فاستكثروه ، ورهبوه ، فمنهم من قاس بعقله ، تقليدا ، لمن شرب من النهر وعصى ، ومنهم من إمتثل مثل سابقته ، فى الإمتثال لأمر الله عز وجل ، وهؤلاء تيقنوا أن القليل من المؤمنين ، لهم الغلبة والنصرة على غيرهم ، بإذن الله ، حتى ولو كان أعداءهم أكثر منهم وأقوى منهم قال تعالى ،{فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من أغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو الذين ءامنوا

معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده }[١] فهذا قياسهم البشرى الذى سقطوا فيه بمنطقهم الضعيف ، وبعقلهم الذى واجهوا به ، موقف إبتلائى من الله عز وجل ، وهذا هو جزاء من يفعل ذلك ، فى أى موقف إبتلائى يمتحن الله به عباده ، ليبدو الطالح من الفالح ، والغث من الثمين .

## الموقف العاشر

### إبتلاء اليهود والعرب بالإيمان بمحمد ﷺ

إمتحن الله أهل الكتاب وبخاصة اليهود ، بمعرفة رسول الله ﷺ قبل مجيئه ، بصفاته الخلقية والخلقية ، وظنوا أن هذا النبى الخاتم سيبعثه الله منهم ، ولم يتوقعوا أنه سيبعث من العرب ، وعندما بعثه الله ﷺ من العرب ، فوجئوا بهذا الخبر الذى أحزنهم ، فلم يمتثلوا الى الله بالإيمان به ، وبرسوله الخاتم ، وقد قاسوا ذلك بعقلهم العنصرى ، ومنطقهم الفاسد ، أن أمة العرب ، لا يأتى منها أنبياء أبدا ، أما هم بنى إسرائيل فقد إعتادوا بعث الأنبياء منهم ، وقد منطقوا بعث النبى ﷺ بقياسهم الفاسد هذا أن هذا النبى ﷺ مبعوث للعرب دونهم ، وبدلا من أن ينصروه ويناصروا دينه ، ويحموا أنفسهم من العصيان والكفر ، وقعوا فى المحذور وفى الكفر والفسق ، بأن أنكروا نبوته ، رغم أنهم يعرفونه ، اكثر من معرفتهم بأولادهم ، وكانوا قبل بعثته ، يستفتحون على الذين

---

(١) البقرة ٢٤٩

كفروا بأنهم سيناصروه ، ويتبعوا هذا النبى الخاتم ، ويحاربوا به ، العالم كله ، ويقتلوا العرب قتل عاد وإرم ، قال تعالى {ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ،}(١) وقال تعالى { الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون }(٢)

فقد صاروا على هذا الدرب ، من الإنكار والجحود لرسول الله ﷺ ، ولم يكتفوا بأن كفروا به ، وبرسالته ، بل ذهبوا يقلبون عليه ، المعارك الكلامية والعسكرية حتى إنتهى بهم المطاف إلى أن أجلاهم النبى ﷺ من الجزيرة العربية ، وبذلك سقط اليهود فى إمتحان الله لهم ، بعدم إيمانهم بالنبى ﷺ الخاتم ﷺ بعد أن اتبعوا قياس عقلهم العنصرى ، ومنطقهم الفاسد، رغم يقينهم بمعرفته ، من خلال كتبهم التى كانت بين أيديهم والتى ذكر النبى ﷺ فيها بأوصافه ٠

وقد شابه اليهود فى إنكارهم للنبى ﷺ والكفر به العرب الذين هم أهل النبى ﷺ وعشيرته وقد قابلوا موقف إمتحان الله لهم بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ وهو الصادق الأمين بينهم ، قابلوه بالجحود والنكران والكفر به وبرسالته ، وهذا راجع لقياسهم العقلى المتجمد الطبقى ، الذى كانوا

(١) البقرة آيه ٨٩

(٢) سورة البقرة آيه ١٤٦

ينظرون به النبى ﷺ، فيجدوه فقيرهم وأقلهم سيادة وسطوة . فتمنــوا أن هذه الرسالة ، وهذا القرآن لو ينزل على رجل عظيم ، من أحد القريتين مكة أوالطائف قال تعالى { وقالوا لولا نزل هذا القرآن قالوا لولا أنـزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمـت ربـك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فـوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضــا سخريا ورحمت ربــك خيــر مما يجمعون }(١) وقد قاس هؤلاء الكفرة الجهلة ، هذا الأمر بعقولهم الطبقية رغم أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يختار من يشاء من عبـادة ليـنزل عليه رسالته ، فالأمر مرجعها الـى الله عـز وجـل لا إلـى عقولـهم وتقاسيمهم ، لأن الله سبحانه وتعالى هو أعلم حيث يجعل رسالته وهــو الذى يقسم رحمته ، كما يقسم الأرزاق بين الناس ، فيجعل هـــذا غنـى وهذافقير، لكى يكون هناك تفاعل إجتماعى بين البشر .

وكل من اليهود والعرب قد إتبعوا أقيستهم العقلية فى إنكار محمـــد ﷺ فكفروا به وجحدوا رسالته ، ولو أنــهم إمتثلـوا لله عـز وجـل ، ووضعوا ثقتهم بالله ، لطرحوا من قلوبهم وعقولهم نظرتهم القاصرة الـى النبى ﷺ فاليهود بعنصريتهم ، والعرب كفروا به بسبب التفاوت الطبقـي وكلاهما قاس بعقله وبمنطقه فسقطوا فى إمتحان الله لهم .

(١) الزخرف ، آية ٣١-٣٢

## الموقف الحادى العاشر

إبتلاء الإنسان بالبعث وإعادة جسدة

هناك بعض الناس من يقيس إعادة جسده يوم القيامة بعقله ، وبقياسه البشرى فيستبعد ذلك ، وينكره ، ويفكر ، بإخبار الله له بأنه سبحانه على كل شىء قدير وأنه بكل شىء عليم ، فإنكار الإنسان للبعث كأنه ينسب لله عدم قدرة وعدم علم وعدم حكمه ، وتعالى ، عن ذلك كله وهناك من قاس ، بعقله البعث وعرض نفسه لموقف إبتلائى سقط فيه فإستحق الكفر ، فقد روى أن إبن خلف لعنه الله ( جاء الى النبى ﷺ وفى يده عظم رميم وهو يفته ويذروه فى الهواء وهو يقول يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال ﷺ نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك الى النار ونزلت هذه الأيات من آخر يس )[1] قال تعالى {أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخالق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون ،فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون }[2]

---

(١ ) أبن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج٣ص٥٨١

(٢) سورة يس من ٧٧-٨٣)

فهذا الإنسان الكافر الذى قاس بعقله ، (قد إستبعد إعادة الله تعالى ذى القدرة العظيمة التى خلقت السموات والأرض للأجساد والعظام الرميمة ونسى نفسه وأن الله تعالى خلقه من العدم الى الوجود فعلم من نفسه ما أعظم مما إستبعده وأنكره وجحده ولهذا قال عز وجل ( قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ) أى يعلم العظام فى سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهبت وأين تفرقت )(١) لأنه سبحانه وتعالى بكل شيء وبكل جزئيه مهما صغرت عليم ، وعلى إعادتها قدير ووراء علمه وقدرته سبحانه حكمه عظيمة ، يعلمها هو ، وإن لم يدركها البشر ، بقدراتهم وعلمهم المحدود القاصر على فهم أبعاد الحقيقة وماهيتها ، فالفطن الكيس من يمتثل لله عز وجل ، لأوامره ونواهييه وإخباره عن المغيبات والشدائد ، بثقة عميقة بالله عز وجل ، لأن هذه الثقة تتضمن للعبد سلامته ونجاته وقربه من الله عز وجل والعكس صحيح ، إذا واجه الإنسان أى موقف من هذه المواقف بعقله القاصر وبقياسه البشرى وبمنطقه الواهى ، الذى يسقطه في دائرة العصيان والعياذ بالله •

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج٣ص٥٨٢

## نتائج البحث

أولا :- كتب الله عز وجل على نفسه ، أن الإنسان يخلق مبتلي ، وقضي سبحانه بذلك عليه ، ليتباين الخير من الشرير ، وليظهر الاحسن عملا من الأدنى عمل .

ثانيا :- قد ربط الله سبحانه وتعالى بين إبتلاء العبد ، وبين قوة إيمانه ، فكلما زاد البلاء وتقبله العبد بثقة بالله كلما قصر إيمانه وإزداد قربه من الله عز وجل ، ولنا المثل الأعلى فى أنبياء الله ورسله عليهم صلوات وتسليماته .

ثالثا : الإيمان ليس كلمة تقال ، ولكنه حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء ، والذى يقبلها لابد وأن يمتحن ويختبر ، بمواجهة مواقف عديدة من قبل الله عز وجل .

رابعا : يستلزم من قبول العبد ، لأى إختبار ربانى ، هو تقينه أن الله سبحانه وتعالى هو الذى شاء أن يضعه فى الموقف ، ولكى يؤهل الإنسان بأن يوجه هذا الموقف ويخرج منه بنجاح ، يلزمه أن يقبل هذا الإبتلاء بثقة موضوعة بالله سبحانه وتعالى ، مع مراعاة عدم إستقبال أى موقف إبتلائى ربانى بعقلانية ومنطقية بشرية ، لأن ذلك يوقع الانسان فى التهلكة والعياذ بالله .

خامسا : إذا أعطى الإنسان ، لعقله العنان فى أى موقف إبتلائى من قبل الله عز وجل، فإن عقله سيتصادم مع هذا الموقف ويرفض هذا الإبتلاء بمنطقه ثم يقيسه بعقله البشرى ، ووقتها يتصادم الانسان بعقله

مع موقف الابتلاء الربانى الذى شاء بوضعه فيـــه، ووضـــع الانســان المؤمن المسلم ثقته بالله فى أى موقف إبتلائى لا يقـــارن ، بالمفارقـــة المطلقة والقذف فى المجهول الذى قال به النصارى الوجوديـــون مـــن أمثال كيركجارد ٠

سادسا : إستمد النصارى ، أصحاب المذهب الوجودى ، إعتقـــادهم فى المفارقة المطلقة وتحليلهم بعض شخصيات الكتاب المقـــدس مـــن عقيدتهم النصرانية اللامعقولة مثل الصلب والفداء والتثليث ٠

سابعا : حاول كيركجارد أن يعالج العقيدة النصرانية الغير معقولـــة بمنظار فردى شخصى خاضع للمفارقة المطلقة وأن يفهم مالذى يعنيـــه الإيمان فى ضوءالتجربة الشخصية بأن جعل الإنسان المبتلى فى صـــراع نفسى عينف بين إبتلاء الله له وبين تقبل عقله لهذا الموقف ، الإبتلائى

ثامنا :- الخطأ الذى وقعت فيه الوجودية ، هو عدم تفرقتـــهم بيـــن ميادين نفوذ الوحى الخاص به وميادين نفوذ العقل الخاص به هو الآخـــر فكلما حددنا ميدان كل من الوحىو العقل ٠كلما وضعنا أيدينا على نفـــوذ كل واحد منهما ، فيما يندرج تحته ، وبعدنا عن الخلط والوقـــوع فـــى المحذور الذى وقع فيه الكثير ، خصوصا الوجودية –النصرانية –

تاسعا : تحدد أهم نقاط ميادين العقل ، ونفوذه فيها ، بإستدلال العبد على وجود الله عز وجل وإثبات وحدانيته هذا فى مجال العقيدة وأيضـــا إستنباط الاحكام الشرعية من مصادر التشريع ، وهذا فى مجال الشريعة ويضاف الى ذلك إعمال العقل فى مجال الاخلاق ، بـــإصدار حكمـــه

والتمييز بين الخير والشر ، وأيضا فى مجال الآفاق بالنظر فى ملكوت السموات والارض ، والنظر في الأنفس إلى جانب إعمال فى المخترعات المستحدثة لينتفع بها الناس ، الى جانب أن العقل يستفيد من تجارب وخبرة السابقين

عاشرا : أهم ميادين نفوذ الوحى ، تتلخص فى إعمال الوحى دون العقل ألبته فى ميدان العقيدة ، من إيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر ، وأيضا يعمل الوحى فى ميدان الشرع ، بأن يوقفنا على الصلاة والزكاة والصوم ، والحج ، والمعاملات ، منفردا بنفسه ، دون تدخل من العقل أبدا ، وأيضا فى العلاقة الفردية بين العبد وربه من إستشعار بالمرء بأن الله يراه وإن لم يكن هو يراه بعينه ، وهذه هى مرتبة الإحسان ، وأيضا الذى يقوم بعملية الحل والحرمة ، هو الوحى بمفرده دون أدنى تدخل من العقل ، فى أى هذه المسائل .

حادى عشر :- من نعم الله على الإنسان ، أن أعطاه الله العقل وجعل له قياسا ومنطقا يقيس به هذا على ذاك ، والآتى على السابق ، والغير مجرب بالذى جرب ، والذى يراه الآن بالذى رآه من قبل ، ورغم إختلاف العلماء فى حجية القياس أو عدم حجيته فإننى أقول : أن القياس حجة شرعية يعمل بها فى المسائل الشرعية المستحدثة التى كست عنها الشرع فتقاس على المسائل التى جاءت في الشرع ، وأيضا الأشياء التى نواجهها لأول مرة وتستحدث فى الأزمنة المتتابعة ، فهذه تقاس على سابقتها ، فالقياس يعمل به فى مسائل الشرع ، أما المسائل العقائدية

فكيف يعمل فيها القياس او العقل ؟ فاليقين عندى ان العقـــائد مستبعدة تماما عن مجال القياس والمنطق والعقل ٠

ثاني عشر : ذكرنا أن الأبتلاء يرتبط بالإيمـــان ، والإيمـــان مسألة عقائدية بحتة وبالتالى يرتبط الابتلاء من قبل الله عز وجل بمسائل عقيدة العبد ومدى سألانه عنها يوم القيامة ، وبذلك فإن الإبتــلاء لا يصــح أن نربطه بأقيسه عقلية ومنطق بشرى ، مهما تنوع هذا الإبتلاء وإختلــف ، وقل أو كبر ٠

ثالث عشر : تتعلق الثقة بالله عند المؤمنين ، لأن توكلهم لا يكون إلا عليه سبحانه وتعالى ، والثقة بالله هي التوكل عليه سبحانه والإستســلام لمشيئته ، والإمتثال لحكمه ، ولقضائه وقدره ، فإن هذه الثقة تجعل العبد عبدا ربانيا قريبا من مولاه بعيدا[٢١٩] عن العباد الذين يحلمونه على الجذع أو اليأس والعياذ بالله ، بأن يوجه أى موقف إبتلائى إبتلاه الله بـــه بقيـاس عقلى ، ومنطق بشرى يحمله على التهلكة والوقـــوع فـــى لعنــة الله وغضبه والعياذ بالله ٠

رابع عشر : من المفارقات الغريبة ، التى نراهـــا فـــى واقعنـــا أن الإنسان نراه يضع ثقته في مخلوقات مثل الطبيب المعالج ، والصيدلــــى الذى يركب الدواء ، وغيرهما كثيرين ، ممن هم أهل الثقة عند كثير من الناس ، ونجد أن الثقة برب العالمين تجدها ضعيفة وضئيلة فى أنفــس ضعف إيمانها ، وهو سبحانه وتعالى أولى بهذه الثقة من مخلوقاته ٠

خامس عشر : تتنوع مواقف الإبتلاء بتنوع الإبتلاء نفسه ، فهناك مواقف إبتلاء تتعلق بالتكاليف من أوامر وتواهى ، ومواقف إبتلاء تتعلق بالشدائد ، والأزمات فهناك موقف إبتلاء تتعلق بالخوارق لناموس الكون وهناك مواقف تتعلق بسماع أخبار يقف منها العقل ، موقف الرفض بمجرد سماعها ، وهناك مواقف إختبار يختارها بعض عباد الله ممن خشوا على قلوبهم من أن تزيغ أو أن الله يتركهم بدون إبتلاء فترة من الزمن وهم أهل الله ، وأحبائه ، وهناك مواقف تتعلق بالثقة يسبقها قليل من القياس البشرى ، وهناك مواقف إبتلاء قابلها أصحابها بقياس عقلى بشرى ، فخرجت نتيجة إمتحانهم الرسوب المفجع ، والسقوط فى الهاوية والعياذ بالله

سادس عشر : مواقف الإبتلاء الربانى المتعلقة بالتكاليف من أوامر ونواهى ، يواجهها أصحابها بالإمتثال لأمر الله والتسليم التام ، دون أدنى مناقشة ولا مراجعة حتى ولو تناقض ذلك مع منطق العقل ، مثل أمر إبراهيم عليه السلام بتركه طفله إسماعيل عليه السلام وأمه فى صحراء مكة ، وأمره بعد ذلك بذبحه ثم أمر أم موسى عليه السلام بإلقاءه فى اليم ، فلم نجد جذعا ولا يأسا بل طمأنينة وثقة وتسليم ، أما النهى فقد وجدنا آدم عليه السلام ينهاه الله عن الأكل من الشجرة ، وأتباع طالوت ينهاهم الله عن الشرب من الماء إلا القليل ، وعصم الله يوسف عليه السلام عن فاحشة الزنا بزليخة فلم نجد مراجعة لنهى الله ولا السؤال عن السبب ، ولا البحث عن ما

وراء تلك النواهي الربانية ، بل وجدنا ثباتا وثقة بالله وإطمئنان قلب وسكينة .

سابع عشر : مواقف الإبتلاء الربانية المتعلقة بالشدائد ، نجد اصحاب تلك المواقف يتعرضون لما لا يستطيع البشر تحمله ، ولا مواجهته ، نجدهم واضعين ثقتهم بالله تخرق تلك الثقة على هيئة كلمات جسلت فى ضمير ، البشر فأصبحوا قدوة وأن لنا بأن نكون مثلنا ، حيث قالوا ، ( حسبنا الله ونعم الوكيل - حسبى من سؤالى علمه بحالى )( يا ابت إفعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين )(لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ) ( إن معى ربى سيهدين )(وعلى فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ) (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله - ربنا أفرغ علينا صبرنا وثبت أقدامنا وإنصرنا على القوم الكافرين )( لا تحزن إن الله معنا )( إذن لا يضيعنا) ( لا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)( أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ) فهذه كلمات قالها أصحابها فى مواقف شدة عصيبة لا يحسد عليها ، فنجحوا فى تجاوز هذه المواقف ونجحوا بجدارة و اثبتوا للعالمين مدى ثقتهم بالله .

ثامن عشر : مواقف الإبتلاء المتعلقة بخرق نواميس الكون واجهها أصحاب تلك المواقف بالاعتراف والإقرار بأن هذا إبتلاء ربانى فقابلوه بالشكر والإمتثال وبإعمال العقل فيما هو فوق العقل ، من الإتيان بعوش بلقيس من اليمن الى فلسطين ، وبإثراء النبى ﷺ من مكة الى بيت

المقدس ، فى جزء من الليل ، واضعين ثقتهم بالله ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى خرق هذا الناموس ، لأنه لا يخرق الناموس إلا رب الناموس .

تاسع عشر : مواقف الإبتلاء الإختيارية تظهر مدى خوف أصحاب تلك المواقف من تقلب القلب ،وزيغه وعدم ثباته ، إلى جانب وصولهم الى قمة الإيمان وخوفهم نتج من المحافظة على هذه القمة ، أو أنهم وصلوا الى درجة عالية من الإيمان والقرب من الله فأحبوا أن يمتحنوا حتى يثبتوا لأنفسهم انهم أهل لهذه الدرجة الرفيعة من الإيمان والقرب من الله سبحانه ، ونجح الخليل عليه السلام فى إمتحانه الذى طلبه من ربه ، ولكن موسى عليه السلام لم يستطع تحمل الإمتحان الذى إختاره بنفسه من ربه وهو رؤية الله والمواقف التى كانت مع العبد الصالح،أما داوود عليه السلام فقد واجه الإمتحان الذى إختاره لمدة لحظة ، وبعدها أقر بخطيئته من إختياره بأن يوكله الله لنفسه وهذا أصعب الإمتحانات ،

عشرون : أما مواقف الإبتلاء المتعلقة بالثقة بالله ، وقد سبقها قليل من القياس العقل البشرى ، فهذه المواقف ترجع الى مدى وقوع كبر الخبر وعظمة لأول مرة على سمع المبتلى، حتى ولو كان نبينا من أولى العزم ، مثل سماع إبراهيم، وسارة ، وزكريا ومريم عليهم جميعا الصلاة والسلام ، خبر البشارة بالولد ، فثقتهم بالله كانت موجودة وراسخة ، بقلوبهم ، إلا أن وقع سماع الخبر لأول مرة جعلهم يندهشون للحظات معدودة ، هذا الى جانب مراجعة الخليل إبراهيم عليه السلام للملائكة

فى إهلاك قوم لوط (عليه السلام)، وأيضا طلب يوسف من الذى ظن أنه ناج منهما بأن يذكره عند الملك ، وعزير الذى إستبعد إحياء القرية الخاوية على عروشها ، فهذه مواقف واجهها أصحابها بقليل من القياس العقلى البشرى ، حتى يعلمنا الله سبحانه وتعالى بأن هؤلاء وإن كانوا أنبياء يوحى إليهم إلا أنهم بشر ، لهم نصيب من الأقيسة العقلية البشرية فى بعض المواقف التى لم يعاتبوا فيها من قبل الله عز وجل ، وأكبر مثل على هذا هو مواقف النبى ﷺ فى الإفك وفى إبطال الزوج فى حليلة الإبن المتبنى ، فكلاهما لم يعاتب فيهما النبى ﷺ بإعماله العقل فى تلك المواقف ، أما الموقف الأخير للنبى ﷺ فقد عوتب فيه من رب العالمين ، فى حق إبن أم مكتوم ، كى يعلم الناس أن الله نصير الضعفاء ، والمبتلين ، حتى ولو كان العتاب لأحب خلق الله إليه وهو النبى ﷺ.

حادى وعشرون : المواقف الإبتلائية المتعلقة بالقياس العقلى فقط ، فقد سقط اصحابها ورسبوا فى إمتحان الله لهم ، بعد أن واجهوا تلك المواقف بعقولهم ، وتحدوا الله رب العالمين ، وقاسوا بمنطقهم ، الضعيف مدى خيرهم على غيرهم ، وهذه هى نقطة سقوطهم ، بقياسهم الظنى ، على أنهم أكرم وأكبر وأعظم وأغنى وأحسن من غيرهم ، مثل إبليس والنمرود – وفرعون – وقارون – وصاحب الجنتين من نبى إسرائيل ، وبنى إسرائيل فى ذبح البقرة ، ودخولهم المقدسة ، وعدم إصطيادهم الاسماك يوم السبت ، وجنود طالوت ، واليهود والعرب

الذين كفروا بمحمد ﷺ ، والذى أنكر البعث ، فهؤلاء جميعا رسبوا فــى إمتحان الله لهم ، وسقطوا ، في هوة العقل وقياســه البشــرى ومنطقــه الضعيف ، ٠فإستحقوا اللعنه من الله والغضب عليه

ثاني وعشرون : مواقف الإبتلاء يجب أن تدرج ضمن ميادين نفــوذ الوحى ، لأن الإبتلاء من قبل الله عز وجل هو إختبار يجــب مواجهتــه وتلقيه بالثقة بالله ، والسكينة والإطمئنان والتوكل عليــه ســبحانه ، ولا مكانه للعقل أبدا فى مواجهة أى موقف إبتلائى من قبل الله عز وجــل ، حتى لا نقع فى رسوب وسقوط ، غضبة الله وسخطه والعياذ بالله .

## قائمة المراجع


١) القرآن الكريم

٢)' الامام احمد بن حنبل :مسند الامام أحمد بن حنبل ج١ ص٤١٢ وج٥ ص١٩١،

٣) شيخ الإسلام ابن تيمية : نقض المنطق ، صححه محمد حامد الفقى ، مكتبة السنة المحمدية ١٩٥١ ص١٦٦

٤)' ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٧ ص٢٩٠

٥) إبن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جزء ٣ ص٧٢

٦) أبن ماجه : سنن إبن ماجه ،حققه محمد فؤاد عبد الباقى . طبعة عيسى الحلبى١٣٣٥

٧) أبن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر بيروت لبنان .ج١٤ ص٨٣

٨)' ابن هشام : السرة النبوية : بدون دار طبع ج ١وح(٢)مجلد (١)ص ٣٩٩

٩)' ابى اسحق النيسبورى ، قصص الأنبياء ، المسمى عرائس المجالس ، المكتبة الثقافية ، ص٧٣

١٠)أبى حامد مجمد الغزالى : معيار العلم فى فن المنطق ، مكتبة الجندى ١٩٧٣ ص١٥٠

١١) أبو السعود : محمد بن محمد العمادى الحفنى ، تفسير أبى السعود ، إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، مكتبة الرياض الحديثة ج٣ ص٧٣٣

١٢) الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن حققه : محمد سيد كيلانى : طبعة مصطفى الباب الحلبى ، ص٦١

١٣) الامام السيوطى : الدر المنثور فى التفسير المأثور ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٩٠ ج٦ ص٥١٧

١٤) البخارى : صحيح البخارى ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، كتاب التفسير ، ج٣ص١٠٨

١٥) الترمذى : سنن الترمذى الطبعة الثانية ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٤ حققه ، وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف ، ج٤ ص٢٨

١٦) البيضاوى : أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن على : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، طبعة مصطفى البابى الحلبى ، سنة ١٣٨٨ جج٢ ص٢

١٧) الزمخشرى : ابو القاسم جار الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ) مطبعة مصطفى البابى الحلى سنة ١٣٨٥)ج ٢ ص٣١٠

١٨) الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ج١٩ دار الفكر الطبعة الاولى ١٩٨(١)ص١٩٩

١٩) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، مكتبة الغزالي ، ج٢ص٢٩٠.

٢٠) الطبرى : أبو جعفر بن جرير الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، طبعة مصطفى الباب الحلبي ، سنة ١٣٧٣ هجرية ج٢٩ص١

٢١) الفيروزابادى : مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط ، دار الفكر العبى بيروت لبنان . ج٤ ص٣٠٥

٢٢) المراغي - أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٤ هجرية منشورات جامعة بنغازى ، ج٢٠ ص١١٣-١١٤

٢٣) المعجم الوجيز : طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم سنة ١٩٩٠ ص٦٢

٢٤) جلال الدين السيوطي : صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام ، دار الكتب العليمة بيروت لبنان ، ص٢٣٥

٢٥) السيوطي ، جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور في التفسير المأثور ، ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت لمبان ١٩٨٧ج٤ ص٣٢

٢٦) جمال محمد سعيد عبد الغنى ، الأباضية فى ميزان الإسلام ، عدد ٢٠ ص٤٠٨

٢٧) حسن عبد الحميد عويضة : النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة لدراسة مقارنة : مطبعة الأمانة ١٩٧٩ ص٢٣

٢٨) زين الدين عمر بن سهلان الساوى تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوى : البصائر النصيرية فى علم المنطق :مطبعة محمد على صبيح ١٩١-١٩٢

٢٩) سيد قطب : فى ظلال القرآن الكريم دار الشروق بيروت لبنان – سنة ١٣٩٨ هجرية )

٣٠) شعبان محمد اسماعيل : الامام الشوكانى ومنهجه فى أصول الفقه طبعة دار الثقافة١٩٨٩

٣١) صفى الرحمن الباركفورى : الرحيق المختوم ، دار الوفاء ص١٨٧ سنة ١٩٩٩

٣٢) على حنفى محمد ، جدل العقل والوجود ، تقديم على عبد المعطى محمد ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ ص٢٩٩

٣٣) على عبد المعطى محمد : قضايا الفلسفة العامة ومباحثها : دار المعرفة الجامعية ، بالاسكندرية ، ١٩٨٤ص٢٢٧

٣٤) عوض الله حجازى : المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم طبعة دار الهدى للطباعة ١٩٨٥ ص ١٤٥

٣٥) قطب الدين محمود بن محمد الرازى المتوفى سنة ٧٦٦ تحرير القواعد المنطقية : طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٩٤٨ ص١٣٨

٣٦) محمد بن ابى بكر الرازى : مختار الصحاح : ترتيب محمود خاطر طبعة دار المعارف

٣٧) محمد شمس الدين ابراهيم سالم : تيسير القواعد المنطقية (شرح الرسالة الشمسية ) الطبعة الرابعة ١٩٨٦ ص٢٠٢

٣٨) محمد فريد وجدى ، المصحف المفسر ، طبعة الشعب ص٣٩٠

٣٩) يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ، طبعة مكتبة وهبة ، ٥٦ –٥٨

٤٠) يوسف القرضاوى : الايمان والحياة مكتبة وهبة ص١٣٨

فهرس الموضوعات